

تعريف نظرية المعرفة

- **المعرفة والعلم في اللغة:**
- **أولاً: تعريف المعرفة:** يقول ابن فارس: “ العين والراء والفاء أصلان صحيحان: يدلُّ أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض. والآخر على السكون والطمأنينة. فالأول العُرف: عُرِفَ الفرس. وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه.

- **والأصل الآخر المعرفة والعرفان.** تقول: عَرَفَ فلانٌ فلاناً عِرْفَاناً ومَعْرِفَةً. وهذا أمر معروف. وهذا يدلُّ على ما قلناه من سُكونه إليه، لأنَّ مَنْ أنكر شيئاً تَوَحَّشَ منه ونَبَا عنه.”
- وقال الفيروز آبادي: “عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةٌ وَعِرْفَاناً وَعِرْفَةً وَعَرِيفٌ وَعَرُوفَةٌ”
- وذهب الجوهري في الصحاح إلى أن العرف ضد النكر والمعرفة ضد الإنكار

وهذا يعني ان تعريفهم للمعرفة تم:

- ١- بيان ضده وهو الإنكار.
- ٢- أو بيان مظهرها الناتج عنها وهو السكون والطمأنينة.
- **ثانياً: تعريف العلم:** يقول ابن فارس: “ العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العلامة، وهي معروفة. يقال: عَلِمْتُ

على الشيء علامة ، والعَلَم: الراية ، والعِلْم: نقيض الجهل ”.

- أما صاحب القاموس فيعرف العلم بأنه المعرفة فيقول: “ عَلِمَهُ، كَسَمِعَهُ، عَلِمًا، بالكسر: عَرَفَهُ ” وبها عرفه الجوهري.
- **ومعروف أن منهج العرب** في تعريفه للأشياء الاكتفاء بتقريب الشيء المعروف إلى الجاهل به عن طريق:
- ١- ذكر ضده.

- ٢- أو مقارنة المعروف.
- ٣- أو الإشارة إلى آحاده العينية
- دون الغوص في ماهية الشيء الذي ينهجه الفلاسفة كما ذكره ابن تيمية في نقده للحد الأرسطي.
- والخلاصة أن العلم والمعرفة مترادفان في الإطلاق اللغوي وأنها يعبران عن حالة تبدو في سكون العارف إلى الشيء المعروف وطمأنينته به.

AMAM

لمعرفة والعلم في الاصطلاح القرآني

- **المعرفة والعلم في الاصطلاح القرآني:**
- **أولاً: المعرفة:** لم يرد لفظ (المعرفة) في القرآن الكريم ووردت له اشتقاقات كثيرة منها:
- ١- صيغة الماضي: ﴿ تَرَىٰ أَغْنِيَهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ (٨٣) ﴾ المائدة.
- ٢- صيغة المضارع: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) ﴾ النحل.

وذكر الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات في غريب القرآن) أن المعرفة في هاتين الآيتين: ” إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره ”.

- ٣- صيغة (عَرَفَ) بمعنى: بَيَّنَّ وأَعْلَمَ: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ (٣) ﴾ التحريم.
- ٤- صيغة (المَعْرُوف) وهو ما عرف حسنه بالشرع والعقل: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالمَعْرُوفِ (٢٤١) ﴾ البقرة.

- ٥- صيغة (العُرف) : بمعنى : المعروف : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ (١٩٩) الأعراف . وبمعنى : التابع : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ (١) المرسلات.
- وعليه : فإن المعرفة في القرآن إذا جاءت فعلاً صادراً عن الإنسان تعني : إدراكاً لشيء بتفكير وتدبر لأثره .
- **ثانياً : العلم :** العلم وردت له صيغ متعددة منسوبة إلى الله ومنسوبة إلى الإنسان :
- ١- صيغة الماضي : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٨٣) النساء .

- ٢- صيغة المضارع : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (١١٦) المائدة .
- ٣- والمصدر كثيراً : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٦٦) آل عمران .
- ٤- وجاء بصيغ أخرى مثل (علم ، عالم ، علام ، عليم ، معلوم ...)
- وقد بين الراغب الأصفهاني : أن المقصود بالعلم في

- القرآن : ” العلم إدراك الشيء بحقيقته ، وذلك ضربان :
- **أحدهما :** إدراك ذات الشيء .
- **والثاني :** الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه . فالأول هو المتعدي إلى مفعول واحد نحو ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ والثاني المتعدي إلى مفعولين نحو قوله : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَ مُؤْمِنَاتٌ ﴾
- وأشار الراغب إلى ما بين (العلم) و (المعرفة) في القرآن من فروق موضحاً أن : ” المعرفة أخص من العلم

- يقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعديا إلى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال الله يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر
- وقد بين ابن القيم جوانب الفرق بين العلم والمعرفة في القرآن فذكر منها:

■ **١- الفرق اللفظي:** ففَعِلُ الْمَعْرِفَةِ يَقَعُ عَلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، تَقُولُ: عَرَفْتُ الدَّارَ، وَعَرَفْتُ زَيْدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَرَفَهُمْ

■ **وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ**﴾ [يوسف: ٥٨]، وَفَعِلُ الْعِلْمِ يَقْتَضِي مَفْعُولَيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ الممتحنة. وَإِنْ وَقَعَ عَلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، كَانَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال.

■ **٢- الفرق المعنوي:** الْمَعْرِفَةُ تَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الشَّيْءِ، وَالْعِلْمُ يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِهِ، فَتَقُولُ: عَرَفْتُ أَبَاكَ، وَعَلِمْتُهُ صَالِحًا

فَالْمَعْرِفَةُ: حُضُورُ صُورَةِ الشَّيْءِ وَمِثَالِهِ الْعِلْمِي فِي النَّفْسِ، وَالْعِلْمُ: حُضُورُ أَحْوَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَنَسَبَتِهَا إِلَيْهِ، فَالْمَعْرِفَةُ: تُشَبِّهُ التَّصَوُّرَ، وَالْعِلْمُ: يُشَبِّهُ التَّصَدِّيقَ.

ويتجلى الفرق المعنوي في أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل: عرفه، أو تكون لما وُصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها، قيل: عرفه، فمن الأول قوله تعالى:

- ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨] ، ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] لَمَّا كَانَتْ صِفَاتُهُ مَعْلُومَةً عِنْدَهُمْ، فَرَأَوْهُ: عَرَفُوهُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ وَلِهَذَا كَانَ ضِدَّ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْكَارُ، وَضِدَّ الْعِلْمِ الْجَهْلُ
- وخلاصة القول في العلاقة بين العلم والمعرفة في القرآن أن العلم أعم وأكمل من المعرفة ولهذا وصف نفسه بالعلم دون المعرفة التي هي إدراك قاصر.

SITY OF DAMMAN

المعرفة والعلم في الاصطلاح

- **المعرفة والعلم في الاصطلاح:**
- **أولاً: المعرفة:** وضع العلماء والفلاسفة للمعرفة عدة معان: فقد ذكر التهانوي حد الفلاسفة القدماء للمعرفة منها:
 - ١- إدراك الشيء بإحدى الحواس.
 - ٢- العلم مطلقاً-تصوراً كان أو تصديقاً.
 - ٣- إدراك البسيط سواء كان تصوراً للماهية أو تصديقاً بأحوالها.

- وذكر الجرجاني: أن المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه ، والعلم كذلك سوى أن المعرفة مسبقة بجهل خلافاً للعلم (ولهذا يسمى الحق - تعالى - بالعالم دون العارف).
- أما الأحمد نكري: فقد ذكر تعريف الجرجاني وأضاف إليه فرقاً آخر هو وأيضاً يقال للإدراك المسبوق بالعدم أو للأخير من الإدراكين بشيء واحد إذا تخلل بينهما عدم بأن أدرك أولاً ثم ذهل عنه ثانياً - والعلم يقال للإدراك المجرد من هذين الاعتبارين

- وعليه فإن المعرفة لديهم : إدراك مطلقاً أو إدراك ناقص بالنسبة للعلم.
- **أما لدى الفلاسفة المعدّثين فإن لفظ المعرفة يطلق على أربعة معانٍ:**
- **أولها:** الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن
- **الثاني:** هو الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع لتفهم حقيقته، بحيث تكون المعرفة محيطة موضوعياً بكل ما هو موجود للشيء في الواقع.
- **الثالث:** هو مضمون المعرفة بالمعنى الأول.
- **الرابع:** هو مضمون المعرفة بالمعنى الثاني

- فالمعنيان الأخيران : نتيجة للمعنيين الأولين ، ومن هذا قولهم : المعارف الإنسانية قاصدين بها نتيجة تلك الجهود التي بذلها العقل البشري في مختلف جوانب الحياة.
- أما المعنيان الأولان: فيمثلان درجتين في المعرفة هما: التصور والتصديق .

- **ثانياً: العلم:** اختلف العلماء في حد العلم :
- ١- فمنهم من رأى أنه لا يحد كالرازي والجويني والغزالي

- ٢- ولكن الأكثرين رأوا إمكان حده فقد حده الباقلاني والباجي بأنه:
- (معرفة المعلوم على ما هو به) .
- وعرفه الإيجي: “ بأنه صفة تُوجب محلها تمييزاً بين المعاني لا يحتمل النقيض ” .
- وعرفه القاضي عبد الجبار: بأنه “ المعنى الذي يقتضي سكون نفس العالم ”
- وكل هذا التعريفات وغيرها لم يسلم من النقد حتى قال

- التفتازاني (أكثر تعريفات العلم مدخولة) .
- ومع ذلك فيمكن الحصول على معرفة مميزة للعلم عما سواه من التصرفات الشعورية فهو: نوع من المعرفة ، بل درجة من درجاتها العليا التي تختص بأنها جازمة مطابقة وقد حصل هذا التطابق الجازم بفعل الذات العارفة أو العالمة بغض النظر عن مصدره ومجاليه ، مع قيد أن هذا التطابق والجزم إنما هو بحدود الطاقة البشرية .

■ أما في الفلسفة المعاصرة:

- فيعرفه أوجست كونت بأنه: “ معرفة القوانين الحقيقية للظواهر الطبيعية ، ولا طريق له إلا التجربة ”.
- ويرى أميل باترو : “ أن المقصود بالعلم اليوم هو: مجموعة المعارف الوضعية التي حصلها الإنسان ”
- والملاحظ أن تعريفات الغربيين للعلم تحصره في دائرة الحس والتجربة وهذا أدى إلى إنكار العلم فيما يتجاوز ميدان التجربة ويختلف هذا عن مفهوم العلم في الإسلام
- فالعلم فيه يشمل ما تم التوصل إليه عن طريق العقل كالرياضيات أو الحس والتجربة كالطب أو النقل والسمع كاللغة ، أو الوحي والنقل كعلوم الدين .

■ النظرية:

- **النظر:** هو الفكر الذي تطلب به المعرفة أي أنه “ فعل صادر عن النفس لاستحصاال المجهولات من المعلومات ”
- والعلوم النظرية مقابلة للعلوم العملية والشعرية كما عند أرسطو ومقابلة للعلوم التجريبية كما عند المحدثين.

- والموضوع النظري هو ما كان سببه النظر في مقابل الحدسي الذي ينتقل به العقل من المبادئ إلى المطالب دفعة واحدة.

■ النظرية: فهي في اصطلاح الفلاسفة المحدثين: “

- تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ ” ولها اطلاقات عديدة لدى الفلاسفة منها الإطلااق المتعلق بنظرية المعرفة وفيه تكون النظرية: “
- تركيبا عقليا واسعا يهدف إلى تفسير عدد من الظواهر ويأخذه علماء وقته على أنه فرض قريب من الحقيقة ويكون مجالا للدراسة والبحث “.

■ نظرية المعرفة: هي النظرية التي تبحث في مبادئ

- المعرفة الإنسانية ، وطبيعتها ، ومصدرها ، وقيمتها ، وحدودها ، وفي الصلة بين الذات المدركة والموضوع المدرك وبيان إلى أي مدى تكون تصوراتنا مطابقة لواقع الشئ المستقل عن الذهن الذي تناوله “.

■ (مباحث نظرية المعرفة) العناصر التي تبحث فيها

نظرية المعرفة: فهي تعرض للبحث في:

- ١- إمكان المعرفة .

- ٢- والتفريق بين المعرفة القبلية التي تسبق التجربة والمعرفة التي تجيء اكتساباً.
- ٣- وتبحث في الشروط التي تصير بها الأحكام ممكنة والتي تبرر وصف الحقيقة بالصدق المطلق - إذا كان في الإمكان.
- ٤- كما تبحث في الوسائل التي تتحقق المعرفة من خلالها والمصادر التي تجيء عن طريقها .
- ٥- وتدرس طبيعة المعرفة من حيث اتصال قوى الإدراك بالشئ المدرك ، وعلاقة الأشياء المدركة بالقوى التي تدركها.
- **الفرق بين نظرية المعرفة وعلم المنطق وعلم النفس في الموضوعات:**
- ١- علم المنطق يبحث في القوانين الصورية للفكر لتطبيقها على المبادئ دون أن يبحث عن أصلها ، أو يناقش قيمتها .
- ٢- أما علم النفس فهو علم تطبيقي يبحث في العمليات العقلية التي يقوم بها العقل في كسب معلوماته : كالإدراك الحسي والتذكر والتخيل.

أسئلة الوحدة الأولى

- ١- عرف المعرفة والعلم في الاصطلاح القرآني .
- ٢- ما الفرق بين نظرية المعرفة وعلم المنطق ؟ .
- ٣- عرّف نظرية المعرفة في الاصطلاح .

- **تاريخ نظرية المعرفة في الفكر الغربي:** البحث في نظرية المعرفة قديم قدم البحث في الطبيعة والإنسان حيث أخذ فريق من فلاسفة اليونان يعودون عن فلسفات أسلافهم من الوجود والعالم إلى الإنسان أو ما يسمونه الانتقال من الموضوع إلى الذات ومن الأشياء إلى المعرفة وعلى رأس هؤلاء:
- **سقراط:** الذي كان جوهر فلسفته (اعرف نفسك بنفسك) والذي حوّل النظر إلى المعرفة وحتى المعرفة جعلها فضيلة. وقد قال بالعقل مصدراً للمعرفة ، ورد شك السوفسطائية إلى اعتمادهم على الحس الذي يختلف باختلاف الأفراد وهذا بخلاف العلم الذي هو معرفة الكليات الثابتة في الأشياء وهذه مصدرها العقل.
- **أفلاطون:** واصل أفلاطون على منهج أستاذه سقراط معتبراً التعقل معيار الحقيقة خلافاً للمعرفة الحسية.
- **أرسطو:** خلف أفلاطون تلميذه أرسطو الذي جعل للتجربة الحسية مقاماً مهماً في المعرفة باعتبارها الأساس الذي تنهض عليه المعرفة التي يقوم بها العقل ويعتبر هذا تجديد في المعرفة خلافاً لسلفه الذي قصر المعرفة على التعقل المحض.
- **فلاسفة العصور الوسطى من المسلمين والمسيحيين:** استمر البحث في المعرفة بعد ذلك لدى الفلاسفة المسيحيين والفلاسفة المنتسبين للإسلام من خلال ما ورثوا من فلسفة اليونان وما عندهم من كتب مقدسة

- **في العصر الحديث:** معظم الباحثين من الغربيين يعتبرون عام (١٦٩٠ م) بداية قيام هذه النظرية وهو العام الذي طبع فيه (جون لوك) كتابه (مقالة في الذهن البشري). فلوك مؤسس النظرية وكتابه المذكور مفتتح عهدها كما أشار إلى ذلك (هنتر ميد) في كتابه الفلسفة أنواعها ومشكلاتها.
- وبالرغم من أن نظرية المعرفة تأسست على يد (لوك) الذي قامت على أساس بحوثه المنظمة فيها ؛ فإن مصطلح نظرية

- **في العصر الحديث:** معظم الباحثين من الغربيين يعتبرون عام (١٦٩٠ م) بداية قيام هذه النظرية وهو العام الذي طبع فيه (جون لوك) كتابه (مقالة في الذهن البشري). فلوك مؤسس النظرية وكتابه المذكور مفتتح عهدها كما أشار إلى ذلك (هنتر ميد) في كتابه الفلسفة أنواعها ومشكلاتها.
- وبالرغم من أن نظرية المعرفة تأسست على يد (لوك) الذي قامت على أساس بحوثه المنظمة فيها ؛ فإن مصطلح نظرية

- نظرية المعرفة لم يظهر إلا بعد (لوك) بمدة طويلة.
- **كانت:** يعتبر من أعظم من كتب في نظرية المعرفة على أساس علمي ونبه إلى ضرورة قيام نظرية المعرفة بوصفها نقطة البدء في كل فلسفة.
- **الفلسفة المعاصرة:** نظرية المعرفة إحدى مباحث الفلسفة المعاصرة (الوجود . المعرفة . القيم) بل إنها تحتل المقام الأول بين تلك المباحث بعد أن كان مبحث الوجود هو المقدم عند القدماء . وتعليل هذه الأولوية هو أن الفلسفة إنما تبحث

- في مسائل الوجود والقيم على أساس اتجاهات في نظرية المعرفة كما في الفلسفة الوضعية والفلسفة الماركسية.
- وتجاوز الاهتمام بنظرية المعرفة الفلسفة إلى ميادين الفكر الأخرى فأصبحت العلوم الجزئية تتطلب كل منها نظرية في المعرفة ينبثق منها منهج البحث في ذلك التخصص المعين حتى علم اللاهوت المسيحي رأى أصحابه حاجتهم إلى نظرية في المعرفة.

المسلمون ونظرية المعرفة

- **المسلمون ونظرية المعرفة:** كما سبق فإن الغربيين يرون أن نظرية المعرفة لم تقم إلا بعد طبع كتاب جون لوك. أما قبل ذلك فيتمثل البحث فيها من خلال الإشارة إلى آراء فلاسفة اليونان وعلى ذات السنن سار أكثر المترجمين والكاتبين العرب دون ذكر شيء يتعلق بهذه النظرية في الإسلام وعند المسلمين ، وأما المؤرخون لفكر الفلاسفة المسلمين فإنهم يذكرون آراء هؤلاء في النقل والعقل والذوق ونحوه - عرضاً تاريخياً

- لكن فريقاً آخر من الباحثين اتجه نحو البحث في مسائل هذه النظرية من النصوص الشرعية واجتهاد العلماء المسلمين السابقين.
- والحقيقة أن العلماء أسهموا بقدر كبير في مجال نظرية المعرفة وإن لم تكن لهم تآليف ملتزمة بالنسق الفلسفي المعاصر في نظرية المعرفة ولكن تناولوا مسائلها من مؤلفاتهم في أصول الدين والفقه والمنطق..
- بل بعضهم أفرد مؤلفات لبعض مسائل هذه النظرية:

- **فابن تيمية:** ألف في ذلك كتابه (درء تعارض العقل والنقل) باحثاً فيه العلاقة بين مصدرَي المعرفة العقل والنقل ومجالتهما.
- **والقاضي عبد الجبار الهمداني:** أفرد مجلداً في كتابه (المغني) بعنوان (النظر والمعارف).
- **والباقلاني:** قدم لكتابه (التمهيد) بباب في العلم وأقسامه وطرقه وسن سنة سلكها علماء الكلام من بعده كما نرى ذلك عند الرازي والإيجي حيث خصص الأول ركناً من كتابه المحصول للحديث عن العلم والنظر وخصص الثاني موقفاً من كتابه المواقف للحديث عن العلم والنظر أيضاً.

جامعة
Y of DANMAM

أسئلة الوحدة الثانية

- ١- ما معيار الحقيقة عند أفلاطون ؟ .
- ٢- من هو مؤسس نظرية المعرفة وما اسم كتابه ؟
- ٣- تحدث عن إسهام علماء المسلمين في مجال نظرية المعرفة

إمكان المعرفة

- **الإمكان:** عدم اقتضاء الشيء الوجود والعدم بحيث يكون في حالة بين الامتناع والوجود.
- والبحث في إمكان المعرفة يعني دراسة إجابة السؤال التالي : هل في وسع الإنسان أن يعرف شيئاً ؟.
- انقسم الناس حيال هذه المسألة فريقين:
- ١- فريق يقول بإمكانها وهم الاعتقاديون / أتباع مذهب التيقن
- ٢- وفريق ينكر إمكانها وهم أتباع مذهب الشك.



■ **مذاهب الشك:**

- **الشك في اللغة:** ضد اليقين.
- **وفي الاصطلاح:** يقول الجرجاني : هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك.
- **أقسام الشك:** ينقسم الشك المتعلق بالمعرفة إلى قسمين:
 - ١ - شك مطلق.
 - ٢ - شك منهجي.

- **الشك المطلق أو الحقيقي:** في القرن الخامس ق.م سيطرت على الفكر اليوناني حالة من الشك في الوجود والمعرفة صورها الفيلسوف السوفسطائي (جورجياس) بقوله: "لا يُوجد شيء وإذا وُجد شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه ، وإذا فرضنا أن الإنسان أدركه ؛ فلن يستطيع أن يبلغه لغيره".
- **ولكن أول مذهب فلسفي** بُني على الشك التام : مذهب (بيرون ت ٢٧٥ ق.م) الذي يقول: "يجب أن لا نثق في الحس ، ولا في العقل ، وأن نبقى من غير رأي ويجب أن ننفي ونثبت معاً ، أو لا ننفي ولا نثبت"

- **وجاء السوفسطائيون** فردوا المعرفة إلى الحس وحده ؛ حيث انتهوا إلى القول بأن الفكر لا يقع على شيء ثابت ومن ثم امتنع إصدار الأحكام ؛ وبطل القول بوجود حقيقة مطلقة.
- **ونَحَت الأكاديمية الجديدة** [مدرسة فلسفية غربية تبنى الاحتمال وتحكم باستحالة اليقين من رجالها: أرسزيرلاس وكاريناد] منحي السوفسطائية فأنكرت وجود مقياس ثابت للحقائق ، وقالت بمبدأ الترجيح والاحتمال الذي يقوم على النظر فيما يقال في الموضوع تأييداً أو اعتراضاً ثم يؤثر الترجيح ولا يتجاوزه على اليقين.

- **حجج الشكاك:** أورد الشكاك عدداً من الحجج لتدعيم موقفهم بعضها يتعلق بالذات وبعضها بالموضوع وبعضها بهما معاً من أبرزها:
 - ١- خداع الحواس والعقل .
 - ٢- اختلاف الإدراك بحسب حالة الموضوع المُدرك - التي هو عليها حين الإدراك .
 - ٣- تناقض الناس في آرائهم .
 - ٤- الجهل بالأشياء .

■ وحجج الشكاك هذه لم يعد لها وزن في الإنكار المطلق لقدرة الإنسانية على المعرفة بل لم يعد لمذهب الشك المطلق بصورته الساذجة وجود في العصر الحاضر وإن وُجد أراد من الشكاك قُل أن يخلو منهم عصر ولعل من أشهرهم في العصر الحديث الفيلسوف الإنجليزي (مونتاني ت ١٥٥٣ م) الذي ترك البحث في العالم الخارجي لظنيته وراح يلتمس اليقين في نفسه فانتهى إلى الشك.

■ والشك المطبق وإن انتهى فإن الشك ذاته لم ينته فتحول من شك في كل مصادر المعرفة إلى شك في بعض مصادرها كشك العقليين في الحس وشك الحسيين في العقل ، أو يمثل الشك مرحلة مرحلة في حياة المفكر يقضي منه إلى المعرفة وهو الشك المنهجي .

■ **الشك المنهجي:** هو وسيلة يهدف منها الوصول إلى المعرفة الصادقة حيث يقوم الباحث بتطهير عقله من كل ما يحويه من مغالطات وأضاليل ليتمكن من البدء بدراسة موضوعه غير متأثر بأي عامل وكأنه لا يعلم عنه شيء .

- وقد أكد كثير من رجال الفلسفة الحديثة هذا الشك واعتبروه ضرورياً لكل معرفة سواء في ذلك:
- **العقليون** : وعلى رأسهم رينيه ديكارت .
- **أو التجريبيون** : من أمثال : ديفيد هيوم الذي سماه بالشك العلمي وقرر أن الفلسفة لا بد أن تقوم على أسس شكية.
- وهذا الشك ليس وليد العصور الحديثة فقد أوصى أرسطو قديماً بمزاولة هذا النوع من الشك واعتبر أن المعرفة التي تعقب الشك أدنى إلى الصواب.

-
- **مذهب التيقن والاعتقاد:**
 - **التيقن واليقين في اللغة:** العلم وزوال الشك.
 - **وفي الاصطلاح:** نقيض الشك وهو اعتقاد الشيء بأنه كذا مع الاعتقاد بأنه لا يكون إلا كذا مطابقاً للواقع.
 - **والاعتقاد:** هو الحكم الذهني الجازم القابل للتشكيك إذا وضع مقابلاً للعلم ، ولكنه يطلق تارة على اليقين ، وتارة على العلم ، وتارة على التصديق مطلقاً.

-
- **ومذهب التيقن:** في المعرفة هو الذي يقول بوجود الأشياء وجوداً حقيقياً وبقدرة الإنسان على معرفتها . وقد ظهر هذا المذهب في صورتين:
 - **الأولى:** الصورة المشاهدة عند كل الناس من تصديقهم لما يرون ويسمعون وقطعهم بالأحكام على الأشياء دون نقد وتمحيص وكان هذا أسلوب الفلسفة القديمة في تفسير العالم والوجود.
 - **الثانية:** صورته مذهباً فلسفياً ذا مواقف محددة ولم تظهر

■ هذه الصورة إلا بعد ظهور الشك فنزع أصحابه إلى الدفاع عن الحقيقة كما فعل سقراط مع السوفسطائيين الذين تلاعبوا بالألفاظ حينما قام بوضع الحدود الكلية عن طريق الاستقراء ثم توجيه العلم إلى اكتشاف الماهيات المختلفة وراء أعراضها المحسوسة.

■ وحينما جاء أرسطو تصدى لمناقشة حجج الشكاك وإبطالها ، وأزال سوء الفهم للمبادئ العقلية التي اضطربوا فيها كاجتماع الضدين ، فيبين أن الضدين قد

■ يجتمعان ولكن من وجهتين مختلفتين ؛ وبهذه الجهود أثبت أرسطو إمكان قيام المعرفة ، واعتبر الماهية أو الوجود في ذاته موضوعها والحواس تدرك النسبي وتترك إدراك المطلق للعقل.

■ وفي العصر الحديث جاء ديكارت: فبدأ شاكاً وانتهى إلى المعرفة وقرر أن الشك المطلق إنما ينتج من الوقوف في منتصف الطريق دون الوصول إلى آخره.

جامع
KHAMAM

أسئلة الوحدة الثالثة

- ١- ما الذي يعني البحث في إمكان المعرفة ؟ .
- ٢- ينقسم الشك المتعلق بالمعرفة إلى قسمين . اذكرهما .
- ٣- عرّف مذهب التيقن في المعرفة .

موقف الإسلام من مسألة إمكان المعرفة

- **موقف الإسلام من مسألة إمكان المعرفة:**
- **أولاً: وجود الأشياء:** قرر الإسلام أن للأشياء وجوداً عينياً مستقلاً عن الذهن -مخالفاً مذهب الشك- أدركه الإنسان أم عجز عن إدراكه ، ومن ثم فإدراك الإنسان للأشياء لا يقتضي وجودها وعدمه لا يقتضي عدمها.
- **وتنقسم الأشياء بالنسبة للإنسان إلى نوعين:**
- موجودات عالم الطبيعة ويسمى القرآن (عالم الشهادة).
- وموجودات عالم ما وراء الطبيعة وفي القرآن (عالم الغيب

- وهذه المسألة لم يشك فيها أحد من المسلمين حتى الذين تأثروا بالتراث اليوناني لم يشكوا في ذلك ؛ ولهذا كان تناول العلماء لها بذكر المذاهب فيها والرد عليها وقد قسم بعضهم أتباع هذا الاتجاه الشكي إلى ثلاثة أقسام:
- **١- العنادية:** منكروا حقائق الأشياء الذين يعتبرونها أوهاماً وضلالات.
- **٢- اللاأدرية:** الذين ارتابوا هل ما يدركون حقيقة أو هي أوهام.

- **٣- العندية:** الذين يرون حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات فحقيقة هذا الشيء كما هي عندك صحيحة وكما هي عندي صحيحة أيضاً حتى ولو اختلفت نظراتنا إليها أي: لا يوجد حقيقة مستقلة عن الفكر فليس ثمة سوى الأفكار.
- ولم تخل البيئة الإسلامية -خلال عصورها- من أفراد نهجوا نهج الشك والارتباب كأبي العلاء المعري الذي انتهى به شكه إلى اليأس والقنوط. وفي ذلك يقول:
- أما اليقين فلا يقين وإنما ***أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسأ
- سألتموني فأعيتني إجابتكم ***مَنْ ادعى أنه دارٍ فقد كذبا

- **ثانياً: معرفة الأشياء:** منهج الإسلام في هذا: أن بإمكان الإنسان معرفة كثير من الأشياء إذا ما سلك السبل المؤدية إلى المعرفة ، وقد جاءت الآيات القرآنية تحث الإنسان على التفكير في الكون من أجل:
- ١ - معرفة الأشياء المبتوثة في الكون والاستفادة منها.
- ٢ - استشعار عظمة الله الذي خلقها.
- ولو لم تكن المعرفة ممكنة لكان الأمر بالنظر والتدبر لغواً باطلاً والله منزّه عن ذلك.

- ولهذا كانت معرفة الموجودات في الإسلام ممكنة متهيئة وعلى هذا تواطأ العلماء:
- قال نجم الدين النسفي: “حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق ، خلافاً للسوفسطائية”
- وهذا الإمكان للمعرفة يشمل موجودات عالم الغيب وموجودات عالم الشهادة
- **ثالثاً: الشك المنهجي في ضوء الإسلام:** ثار حول هذا الشك - في الفكر الإسلامي - نزاع وبخاصة فيما يتعلق

- بمعرفة الله وهل من الضروري أن تنطلق من شك أو لا؟
- والشك المنهجي تجربة عاشها أناس واقعاً حياً من أشهرهم: الغزالي وأوغسطين وديكارت وهيكل.
- وقد دعا بعضهم [الغزالي] إلى ممارستها لكل طالب حقيقة: “إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال”.

■ مجالات الشك:

- **العلوم النظرية:** هي أول ما يتوجه إليها الشك فديكارت يوضح منهج شكه بأنه (قرر أن يشك في كل ما سبق له التسليم به من آراء وأن يهدم كل ما سبق له أن دان به من معتقدات وأن يشرع في اختيار معارفه....).
- **العلوم الضرورية والمبادئ القبلية:** فالغزالي بعد أن شك في الحواس التي تخدع الإنسان - حيث يرى الظل واقفاً وهو في الحقيقة متحرك - تطور به الأمر إلى الشك في

- الضروريات العقلية ؛ وأيد ذلك بالأحلام التي يراها الإنسان حقيقة ثابتة ثم يتبين باليقظة كذبها ؛ وعليها يقاس ما في اليقظة فلعل هنالك حالة تكون فيها حالتنا هذه كحالة النوم بالنسبة لليقظة ...)
- كذلك ديكارت بعد أن شك في الحواس والعقل وأمعن في الشك إلى حد أن افترض أن شيطاناً ماكرأ يعبث به وألح عليه الشك حتى شك في أنه يشك.
- **الموقف السليم في أمر الشك في الضروريات :** فالموقف

- السليم الذي ينسجم مع قواعد الإسلام هو القائم على أن الله خلق الإنسان مجبولا على مبادئ فطرية ، لا يمكن أن تزول من عقل الإنسان ؛ لأن قيمة العقل بصفته مصدراً للمعرفة إنما يتم بوجودها ؛ ولهذا عرّف كثير من العلماء العقل بأنه: (العلوم الضرورية التي تقع ابتداء وتعم العقلاء).
- وزوال هذه المبادئ بالكلية يعني زوال العقل وسقوط التكليف المناط به وافتقاد القدرة على العلم والمعرفة؛

- ولهذا فإن أشهر نموذجين لهذا الشك الغزالي وديكارت عادا في نهاية شكهما إلا بناء المعرفة عليها.
- **فالغزالي:** يقول بعد فترة شكه: (حتى شفى الله - تعالى - من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمر يقين).
- **وديكارت:** الذي انتهى إلى الشك في أنه يشك عاد فبنى فلسفته على: (أنه لا يشك في أنه يشك فهو يفكر وما دام

- يفكر فهو إذن موجود (أنا أفكر فأنا إذن موجود).
- فالمبادئ القبلية هي الأساس لقيام المعرفة العلمية ومن ثم فلا مناص لمن شك فيها أو اصطنع ذلك من أحد خيارين:
- ١- البقاء في الشك المطبق فيصبح من أصحاب الشك المطلق.
- ٢- وإما الاعتراف بتلك المبادئ بصفتها الأساس في العقل البشري الذي تقوم عليه المعرفة.

أسئلة الوحدة الرابعة

- ١- تنقسم الأشياء بالنسبة للإنسان إلى نوعين . اذكرهما .
- ٢- من هم العنادية ؟ .
- ٣- ما المقصود بالعلوم الضرورية والمبادئ القبلية ؟ .

طبيعة المعرفة

بحث الفلاسفة الذين قالوا بإمكان المعرفة طبيعة هذه المعرفة وفسّروا معرفة الإنسان للأشياء وكيفية إدراكه لها، وانقسموا حيال ذلك إلى مذهبين:

- المذهب الواقعي
- المذهب المثالي

المذهب الواقعي

تعريفه هو المذهب الذي يقوم على أن للأشياء الخارجية المدركة وجودا عينيا مستقلا عن القوى التي تدركها. عن جميع احوال التفكير التي يقوم بها العقل تجاهها

ويرى اصحاب هذا المذهب : ان معرفة العقل مطابقة للأشياء المدركة كما هي، فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا الا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع.

والمعرفة عند الواقعيين : «إدراك عقلي أو حسي مطابق للأعيان في الخارج، أو هي: انعكاس العالم الخارجي على العقل».

وللمذهب الواقعي صورتان:

الصورة الاولى هي الصورة الساذجة التي تثق في المدركات الحسية ثقة كاملة وتحكم بصحة كل ما جاء عن طريقها مما اثبتت التجارب خطأه

الصورة الثانية هي الواقعية النقدية التي ترى أن الحس يدرك حقائق الأشياء وهذه الحقائق تمحص في ضوء قوانين العلوم الطبيعية. فليست المعرفة تصورا مطابقا تماما لتلك الاشياء التي ادركها الانسان في الخارج (ولكنها أصبحت تصورا معدلة بفعل العقل الذي يستطيع ان يتجاوز الجزئيات المحسوسة الى الكليات .

ولقد افترض بعض اتباع هذا الاتجاه فالغو قيمة الفكر في مقابل الوجود الخارجي وجعلوا هذا الفكر مجرد انعكاس لذلك الوجود كبعض طوائف الوضعيين . ولكن اخرين من الواقعيين اثبتوا وجودا مستقلا للأشياء عن العقل الا انهم يثبتون استقلال العقل ايضا .

المذهب المثالي:

تعريفه: يقوم هذا المذهب على إنكار كون المعرفة إدراكا مطابقا للموجودات المدركة، وكون هذه المدركات لها وجود عيني مستقل عن العقل الذي يدركها، لهذا فهم يرون ان وجود الأشياء يتوقف على القوى التي تدركها، اذا لاتعدوا ان تكون صور عقلية.

وقد فسر جورج باركلي الانجليزي الوجود بأنه الإدراك، وقال إن وجود الشيء هو إدراكه. وليس لهذا الشيء وجود مستقل عن ادراكي . قال فيشته (يوهان جو تليب) الالمانى إن الطبيعة مكونة بقوانين فكري، وليست إلا علاقات بيني وبين نفسي. اما العالم الخارجي فليس بوسعنا ان نقيم على وجوده الموضوعي دليلا .

وقد غالى بعض اتباع هذا المذهب حيث احوالو الوجود الموضوعي للأشياء الى مجرد افكار وخطر وابتعدوا عن دنيا الواقع واستخفوا بعالم الشهادة .

ولكن فريقا آخر منهم مثل : باركلي : ادركوا استقلال المدركات الحسية عن العقل ، ففسروا ذلك بأنها موجودة في العقل الالهي يستقبلها العقل البشري منه .

ومن اجل التوفيق بين هذين المذهبين في نظريتهما المتعارضتين لطبيعة المعرفة كان مذهب النقيدين .

المذهب النقدي:

تعريفه :وهو المذهب الذي يقوم على الثنائية في المعرفة بين الذات العارفة والموضوع المعروف متفاديا الانقطاع الى جانب واحد بينهما

فقد انتقدت كانت الواقعية التي غلت في تعظيم الموجودات الخارجية حتى ألغت دور العقل ، كما انتقد المثالية الغالية التي أحالت الأشياء كلها إلى معان وتصورات عقلية، والمعرفة لا تستقي من الحس وحده ولا من العقل وحده وإنما منهما.

والموضوعات عند كانت كما تعرفها لنا التجربة هي فقط كما تظهر لنا فهي ظواهر تتجلى بها الأشياء بعقولنا وورائها يوجد شيء في ذاته (اننا لانعرف الأشياء كما هي ولكن كما تظهر لنا فقط)

ومعرفة هذه الظواهر تتم من خلال نقلها بالحواس الى الذهن ثم مطابقتها لمقولات العقل ومبادئه القلبية .

وعلى هذا تكون المعرفة عند كانت ذات عنصرين

خارجي : وهو مادة المعرفة التي تأتي من الأشياء بواسطة الحواس

خارجي : ينبثق من العقل ، متمثلا بمقولات العقل التي يقول بها كانت وهي سابقة على كل تجربة

طبيعة المعرفة في الإسلام:

دائرة البحث في طبيعة المعرفة والعلم في الإسلام أوسع مدى من البحث الفلسفي لها . فالبحث الفلسفي

١- ينظر الى العلم الانساني منتبرا عن أي علم سواه ، هذا جانب

٢- والجانب الثاني انه يبحث المعرفة من حيث هي كائنة دون امتداد الى اصولها الصحيحة

اما في الإسلام فالمعرفة البشرية تأتي تابعة للحديث عن العلم الإلهي كما جاء في القرآن كثيرا (أنتم أعلم أم الله) و(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا).

ودراسة علماء الكلام والعقيدة المسلمين لعلم الإنسان تأتي تبعا لبحثهم في صفة العلم لله.

الجانب الآخر : فإن الإسلام يمتد بالمعرفة البشرية إلى خالقها في الإنسان إبداعا لأسبابها قال تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون).

وتتمثل طبيعة المعرفة في الإسلام في الآتي:

١- يثبت الإسلام للأشياء وجودا خارجيا عينا مستقلا عن الذات العارفة وتنقسم الموجودات الى موجودات عالم الغيب وموجودات عالم الشهادة.

٢- أن المعرفة البشرية ثمرة التقاء بين ذهن الإنسان وبين الموجودات الخارجية، وان كان لا يعني التلازم التام بين الموجودات وذهن الانسان ، بمعنى انه ليس كل موجود معروفا او ممكنة معرفة (كيفية الذات الالهية).

وليس كل تصديق في الذهن البشري واقعا على شيء خارجي أي حقيقة خارج الذهن (فالقوة المتخيلة لدى الانسان قد تتركب معان وتشكيلات لا حقيقة لها في الواقع : كم في تصورات الشعراء الخياليين او انواع الرؤية المنامية والتي تكون نتيجة ضعف القوة العاقلة او نتيجة سيطرة خواطر معينة على الانسان حال اليقظة وتسمى بالمصطلح القراني ن (أضغاث أحلام).وقد أدى الخلط بين هذه الحالة والمعرفة المطابقة لدى بعض الإشراقيين والمتصوفة إلى منزلق خطير حيث نقلوا تخيلاتهم وتصوراتهم الذهنية التي تستولي عليهم حال الفناء الى عالم الواقع فنطقوا بما يخالف الشرع والعقل والقول بالاتحاد والاندماج

وبعكس هذا رفض بعض الفلاسفة اعتبار وجود خارجي الذي لما لا تدركه الحواس من الأمور المذكورة في القرآن من جنة ونار ...

٣- أما كيفية العلاقة بين عقل الإنسان والأشياء الخارجية فإنها تتم من خلال تطبيق العقل البشري مبادئه القلبية على الأشياء والقضايا التي أمامه حيث يثمر ذلك المعرفة (قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكرو ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)

٤- أما تأثير العلم في وجود المعلوم ففيه مسألتان:

الأولى: ينقسم العلم إلى :

ما له أثر في وجود معلومه

وما لا أثر له فيه.

سواء كان ذلك علم الله او علم البشر.

فمن النوع الاول : علم الله بنفسه ، وعلم البشر بمخلوقات الله .

ومن القسم الثاني: علم الله بمخلوقاته، فإن خلق المخلوقات مشروط بالعلم. قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

وكذلك فإن علم الإنسان بما يريد فعله شرط في وجود المعلوم، وهذا الوجود تابع للعلم به كما في سائر المخترعات البشرية.

الثانية: أن تأثير العلم في المعلوم ليس سببا مستقلا في وجوده، كما قرره بعض الفلاسفة بالنسبة لعلم الله، وكما هو منتهى في فلسفة باركلي المثالية إذ هنالك اسباب اخرى لها عمل في اليجاد كالقدرة والمشيئة .

ولهذا كان المولى سبحانه يعلق وجود الحادثات بالقدرة والمشيئة، كما في قوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ايها الناس باخرين وكان الله عل ذلك قدير ، وقوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) وقال بالنسبة للإنسان (اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير)

مصادر المعرفة

مصادر المعرفة هي أحد مباحث نظرية المعرفة، ولعل أكثرها أهمية للقائلين بإمكانها وعلى أساسه قامت المدارس الفلسفية وتم تصنيفها الى تجريبية وحسية ...

تعريف المصادر : جمع مصدر وهو موضع الصدور ومنة : مصادر الأفعال ، لأن المصادر المجردة هي اصل المشتقات .

فالمصدر إذن : اصل ينشأ عنه غيره ومن هنا جاء وصف ما تنبثق عنه المعرفة بالمصادر لأنها هي الاصل

وقد اختلف الباحثون في تسمية تلك الاصول مع اتفاقهم على موضوع البحث ما بين :

- مصادر
- وسائل
- اصول
- منايح

مصادر المعرفة لدى الباحثين : ومصادر المعرفة تتناول في الفلسفة المعاصرة :

- والعقل
- والحس
- والحدس

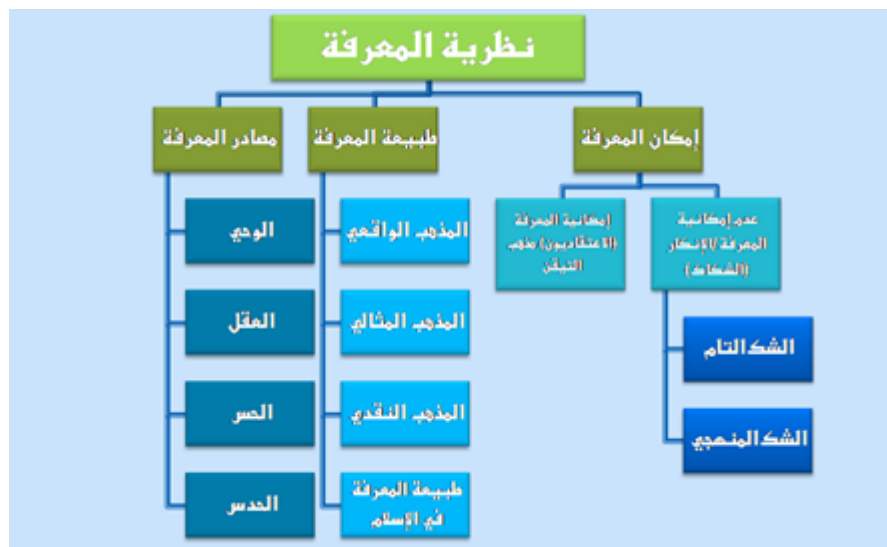
وما سوى هذه المصادر لا يذكر الا عرضا تاريخيا لبعض فلاسفة العصور الوسطى المسيحيين الذين قالوا بالوحي كمصدر او المعرفة الاشراقية كأوغسطين

ودرج على هذا الكاتبون العرب في نظرية المعرفة حيث يشير بعضهم الى ما ذكره اقطاب الصوفية من ان العلم اليقيني يجيء عن طريق الذوق او الكشف او الإلهام .

اما العلماء المسلمون فانهم يتفقون على ان اهم مصادر المعرفة التي ينالها الانسان .

- الوحي
- العقل
- الحس

مع اختلاف بينهم في قيمة المعرفة المتلقاة عن طرقها



اسئلة

- ١- عرف المذهب الواقعي واذكر صورة ؟
- ٢- تحدث عن طبيعة المعرفة في الاسلام مقارنا ذلك بطبيعتها في الفكر الغربي ؟
- ٣- ماهي اهم مصادر المعرفة عند العلماء المسلمين ؟

الوحي

- **تعريفه:** ذكر ابن فارس في معجمه: **الْوَاوُ** وَالْحَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِلْقَاءِ عِلْمٍ فِي إِخْفَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى غَيْرِكَ. فَالْوَحْيُ: الْإِشَارَةُ. وَالْوَحْيُ: الْكِتَابُ وَالرَّسَالَةُ، وَالْإِلْهَامُ، والصوت. وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ فَعَلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ.
- **والوحي:** يطلق ويراد به الحركة التي تكون بين الملقى والملقى إليه وهي الإلقاء، ويراد به أيضاً اسم المفعول وهو الشيء الموحى. وقد قيد بعضهم: الإطلاق الأول

صور الوحي

- بقيدي: الخفاء والسرعة، فعرفوا الوحي بأنه: (الإعلام الخفي السريع).
- **صور الوحي:** يتمثل الوحي في صور عديدة وقد ذكر القرآن نماذج منها فمن ذلك:
- **الإلهام الغريزي للحيوان:** ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٦٨) النحل.
- **الإلهام الفطري للإنسان:** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (٧) القصص

- والإشارة السريعة بأمر ما: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١١) مريم.
- والوسوسة الشيطانية: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٢١) الأنعام.

صور الوحي

الوسوسة
الشيطانية

الإشارة
السريعة

الإلهام الفطري
للإنسان

الإلهام الغريزي
للحيوان

صور الوحي بمعناه اللغوي

- **الوحي بالمعنى الشرعي:** عرفه أهل الاصطلاح بأنه: إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بشرعه ودينه.
- ومنذ أن أوجد الله الإنسان واصطفى منهم رسلاً تتابع وحيه إلى هؤلاء الرسل بصورة متعاقبة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) البقرة.

- **كيفية الوحي:** وهذه الظاهرة تأتي على كيفية متنوعة أشارت إليها الآية القرآنية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (٥١) الشورى.

كيفية الوحي

إرسال الملك

سماع كلام من وراء
حجاب

الوحي المباشر

ونتيجة للوحي الذي يحصل لنبي من الأنبياء فإنه يأتي للبشرية بحقائق علمية وأحكام جازمة في مختلف مجالات المعرفة وسنترك الحديث عن الوحي ومصدريته للمعرفة وقيمة ما يقدمه عند غير المسلمين ، ونتحدث عن حقيقته وطبيعته وما يقدمه من معرفة من خلال التصور الإسلامي.

- **الوحي في الإسلام :** سبق الحديث عن الوحي وتعريفه ، وذكرنا أن المقصود به وحي الله إلى رسوله محمد ﷺ
- **أنماط عملية نزول الوحي :**
- ١- الرؤيا في النوم كما في حديث عائشة رضي الله عنها: (أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهٖ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، كَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)

- ٢- بوساطة جبريل عليه السلام: إما بصورته الملكية أو بصورة بشر معروف لدى الصحابة أو غير معروف. أو يهبط على رسول الله ﷺ خفية لا يراه الصحابة وإنما يعرفون مجيئه من خلال ما يظهر على الرسول ﷺ من تغيرات أو يسمع له دوي كدوي النحل. وقد ورد في صحيح البخاري عائشة - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول

- الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليّ - فيفصم عني وقد وعيتُ ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول. قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً)
- مخاطبة الله له مباشرة دون توسط جبريل وقد حدث ذلك ليلة الإسراء والمعراج.

- والوحي بمعنى الموحى يتمثل في الإسلام بالقرآن والسنة:
- **القرآن:** (هو الكلام المعجز المنزل على محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته.
- وقد تلقى الرسول ﷺ هذا النوع من الوحي بلفظه ومعناه من جبريل منجماً خلال ثلاث وعشرين سنة.

- **السنة:** (هي ما صدر عن الرسول ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير في غير الأمور الطبيعية)
- وتختلف عن القرآن في أن القرآن لفظاً ومعنى من الله تعالى بخلاف السنة فقد يروي مضمونها عن الله تعالى وهي الأحاديث القدسية التي يكون الخطاب فيها من الله إلى الناس مباشرة أو يكون التوجيه فيها من الرسول ﷺ مباشرة وهي السنة والأحاديث

النبوية ، والقرآن والسنة هما قوام الوحي الذي أنزل على النبي ﷺ بالحقيقة الكاملة.

■ طبيعة الوحي في الإسلام.

■ المسائل التالية تبين خصائص الوحي وطبيعته والتي بها يتميز عن مصادر المعرفة البشرية:

■ **المسألة الأولى: حصوله بالاصطفاء لا الكسب:** الوحي منحة إلهية فالنبوة التي هي مؤهل لتلقي الوحي اصطفاء من الله واختيار: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (١٢٤)﴾ الأنعام

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي (١٤٤)﴾ الأعراف.

- وهذا يبطل ما ادعاه الفلاسفة والصوفية من اعتبار النبوة من جملة المواهب البشرية المكتسبة :
- التي تنال بالجد والاجتهاد والاستغراق في العبادات أو التصفية والتسامي بالروح أو إطالة المعاناة الفكرية في جواهر الأشياء حتى تتفجر الحقيقة وتنزل المعرفة المباشرة.

- أو اعتبارها نوعاً من العبقرية الذاتية أو درجة في الذكاء الفطري الذي يعطي صاحبه استعداداً قوياً للانتقال من المعلوم إلى المجهول بسرعة فائقة ودون ترتيب أدلة لذلك وهو ما يسمى بالحدس كما زعم بعض الفلاسفة.
- فابن سينا: يرى أن لاكتساب العلوم طريقين: الحدس ، والتعليم . ويرى أن الناس متفاوتون في الحدس وأن منهم: (من ينتهي في طرف الزيادة إلى أن يكون له حدس في جميع المطالب أو أكثرها حتى يشتعل حدساً

وقبولا لإلهام العقل الفعال ، فتشرق عليه الصور العقلية
دفعه ، أو قريباً من دفعه ، ويصبح عقله مرآة صقيلة ،
تعرف كل شيء من نفسها ، وتسمى هذه الحالة من العقل
الإنساني : عقلاً قدسياً وهو ضرب من النبوة لا بل هو أعلى
درجات النبوة).

■ والحق: أنه بنظرة موضوعية إلى حال النبي ﷺ يتبين صدق
ما قرره وبطلان القول بأنها كسبية وحديث بدء الوحي فيه
الرد الكافي على مثل هذه

الادعاءات : (عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلَ مَا بُدِيَ
بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ
لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حَبَّبَ إِلَيْهِ
الْحَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي
ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ
إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ
فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي
حَتَّى بَلَغَ

مَنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي
فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مَنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ
فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي
فَقَالَ { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فَوَادَّه
فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمِّلُونِي
زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا
الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى

نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُحْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلَ
الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ
وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ (...).

■ ولم يكن ﷺ متطلعاً إلى درجة النبوة قال تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ
تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦)﴾ القصص وقد كان هنالك متطلعون
لها أمثال : أمية بن أبي الصلت ولم يحدث لأحد منهم ما
تمناه.

■ ولعل مما أوقع التصور الفاسد بأن النبوة كسبية في أذهان
بعض الناس سوء فهمهم كيفية تنزل الوحي على النبي
وقياسه على حدوث المعارف الأخرى لدى الإنسان ،
وكذلك اتجاه كثير من فلاسفة العصر العباسي إلى تأكيد
الاتصال الوثيق والتوفيق بين الفلسفة والشرعة الذي
جعلوا الفلسفة اليونانية الأصل الذي تقاس به الأشياء
فكان الفيلسوف ومنهجه في تحصيل المعرفة -لدى الفلسفة
اليونانية - أساس عملية المقارنة مع النبي فالفارابي يقرر

أن الفيلسوف والنبي كلاهما يستطيع الاتصال بالعقل
الفعال إلا أن الأول عن طريق التأمل والنظر والثاني عن
طريق المتخيلة.

■ وابن مسكويه يتحدث عن اتفاق الفيلسوف والنبي في
الحقائق التي يخبران بها ؛ لأن الفرق بينهما : أن أحدهما
ارتقى من أسفل والآخر انحط من عل وكما أن المسافة بين
السطح والقرار واحدة كذلك الحال في تلك الحقائق
والمشاهدات عند من يرتقي إليها وعند من ينحط إليها.

■ المسألة الثانية: عدم خضوعه لرغبة الرسول في تنزله:

فالوحي يتم تبعاً لمشئته الله وحده ، فليس خاضعاً في توقيت نزوله أو تحديد مكانه لرغبة النبي ﷺ ولا ملبياً مطالبه فور الحاجة إليه .

■ لذلك كان الوحي يتتابع أحياناً وينقطع أحياناً فقد فتر الوحي بعد نزوله في غار حراء مدة ثلاث سنين ، كذلك أبطأ بعد حادثة الإفك

■ كذلك فإن الوحي ينزل عليه في لحظات تدل حاله فيها

على أنه لم يكن منتظراً نزول الوحي فيها ، وهذه الخاصية في طبيعة الوحي تميزه عن مناهج استمداد المعرفة من المصادر الأخرى إذ هي تتم من خلال التهيؤ والاستعداد وذلك بناء على كسبيتها.

■ المسألة الثالثة: اليقينية المطلقة لما قدمه من علم: الوحي

بصفته جزء من علم الله تعالى فهو له ما لهذه الصفة من كونها مطلقة غير محدودة فعلم الله يتخطى حدود الزمان والمكان من هنا امتاز ما قدمه الوحي بأنه

يقين مطلق سواء كان في مجال عالم الغيب أو مجال عالم الشهادة ، ولعل مجال الغيب (ما وراء الطبيعة) من أعظم هذه المجالات وهو الذي تخبطت الفلسفة فيه كثيراً وأعلن كثير من الفلاسفة المتأخرين عجز مصادرهم من الوصول إليه كما فعل ديكارت واربوبرت ولاذ آخرون بالإنكار له كما فعل الماركسيون.

■ أما الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ فقد جاء بالحق في هذا الميدان مما يلبي تطلعات الإنسان

فأخبر عن الكون وأصله وعن الله وصفاته والإنسان
ومسؤوليته وعن الملائكة.....

■ وعلى هذا إذا تحدث العلماء عن محدودية مصادر المعرفة
فإنها يعنون مصادرهم البشرية ويبقى الوحي بمنأى عن
ذلك .

■ ونزول قيمة المعرفة في هذا المجال عن مستوى اليقينية إنها
يأتي عن طريق العنصر البشري المتلقي لهذا الوحي

وذلك لمحدودية العقل وعدم قدرته على إدراك مراد الوحي
؛ وهذه مسألة دلالة النصوص التي بحث في علم أصول
الفقه .

■ فالوحي نصوص وهذه النصوص تنقسم إلى قسمين:

■ **قطعي الدلالة:** ومن القطعيات : أركان العقيدة وأصول
الأخلاق ، والعقوبات المحددة. فمثل هذه لا اجتهاد فيها (لا اجتهاد في القطعيات).

■ **ظني الدلالة :** حيث يعترى بعض ألفاظه غموض في

دلالاته على معناه ويمثل له العلماء بلفظ الصلاة فهي من
المجمل الذي بينه رسول الله ﷺ حيث حدد صورتها المرادة
، وكذا قوله ﷺ : (ليس لقاتل شيء) فقد اختلف الفقهاء في
تحديد مفهوم القتل المانع من الإرث : هل هو القتل مطلقاً
أم العمد دون الخطأ ، وهل يدخل في ذلك القتل بوجه
شرعي ؟ أو لا؟ .

■ والفرق بين المثالين السابقين (الصلاة والقتل) في جهة

التفسير للنصوص لكل منهما وفي نتيجة ذلك:

■ فالأول فسر الوحي فاكسب تفسيره منزلة الوحي في قيمة
المعرفة الصادرة عنه بكونها حقيقة مطلقة.

■ والثاني: فسر العقل البشري فاكسب تفسيره قيمة المعرفة
الصادرة عنه بكونها نسبية غير مطلقة قابلة لاحتالات
أخرى.

- **المسألة الرابعة: تنزهه عن التأثر بالزمان والمكان:** لم يكن للزمان والمكان (البيئة والتقاليد والطقوس) تأثير على الوحي الذي أنزل الرسول ﷺ؛ ذلك لأن الوحي علم صادر عن الله تعالى المهيمن على الزمان والمكان .
- وعليه ؛ فإن الوحي مبرأ من الانطواء في نظرية (اللاوعي) التي جاء بها يونج [يونيغ، كارل جوستاف (١٨٧٥-١٩٦١م) .
عالم سويسري مختص في علم النفس والطب النفسي]

- والتي خلاصتها: (أن ما يظهر في رؤى الأفراد المنامية ، وأحلام اليقظة ، وكذلك الأساطير الدينية هو انبثاق عن اللاوعي إلى الوعي ، وأن ما يأتي فيها من آراء تكون معبرة بطريقة ما عن المجتمع ، ومتوافقة مع مشاعره ومصالحه ومصاغة بمقولاته ، ومبنية على مسلماته) .
- ولكن هذا لا يعني أن الوحي جاء مثالياً بعيداً عن الواقع فهو جاء ليؤثر في الواقع ببيان المنهج وتحديد الحق وإن لم يتأثر بذلك الواقع .

- **وقد أخطأ المستشرقون في هذه المسألة في جوانب:**
- **فقد قالوا:** إن الوحي المحمدي جاء وفقاً للمفاهيم التي كانت رائجة عند العرب وقت نزوله ، فالمستشرق ميلر بروز يرى: (أن الشكل الذي يتخذه أي وحي تقرره الآراء العامة السائدة عن العالم في الوقت والمكان اللذين ينزل فيهما ، وهذه لا يمكن أن تكون كافية ولا دقيقة ولهذا يجب أن تصحح بعد) . ويمثل لهذا بما جاء عن خلق الإنسان قبل عصر العلم خلافاً لما هو مشهور الآن من الإنسان كائن

- متطور كما تقرره نظرية التطور. وهذا الخطأ كان نتيجة قياس الوحي في الإسلام على الوحي في النصرانية .
- **كما أخطأوا** حين حاولوا إثبات بشريته من خلال تلمس المسائل التي جاء بها مشابهة لمسائل في اليهودية والنصرانية لأن هذه المسائل:
- - إما أن تكون حاجة ملحة عرفها بتجربته كما كانت عند العرب قبل الإسلام قاعدة (القتل أنفى للقتل) وجاء الوحي مقررًا أن في القصاص حياة للناس .

- - وإما أن تكون من بقايا الدين الصحيح الذي جاء به موسى وعيسى -عليهما السلام.
- والحق في مثل هذه دليلاً على صدق النبي الأمي في نسبته الوحي إلى الله تعالى وبهذا جاء القرآن: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧)﴾ الشعراء.
- **المسألة الخامسة: انتفاء الحلول في تلقي الوحي:** فالوحي ليس حلولاً لذات الله في ذات الرسول أو اتحاداً بينهما ، ومذهب الحلول الذي قال به الإشراقيون وغلاة المتصوفة وقد اشتهر منهم: الحسين بن منصور الحلاج في القرن الثالث الذي قال بحلول اللاهوت في الناسوت وقالت به مذاهب ضالة : كالمقتعية [نسبة إلى المقنع معاصر للحلاج] ، والشلمغانية [نسبة إلى محمد بن علي الشلمغاني معاصر لهما أيضاً].
- أما في الإسلام فإن العقيدة الإسلامية تؤكد على مباينة الخالق للمخلوقين .

- **المسألة السادسة: مستند الوحي:** إذا كان العقل يستند إلى أدلته القائمة على المبادئ الفطرية في الإنسان ، وإذا كانت المعرفة الحسية تستند إلى التجربة ؛ فإن الوحي يستند إلى علم الله لأنه منه وعلم الله مستغن عن الاستعانة بأية وسيلة للوصول إلى معرفة الحقائق.
- ولكن بما أن العقل البشري وسيلة الإنسان لتلقي الوحي وتفهمه فقد جاء الوحي في إطار مفهوميته ومتطابقاً مع مبادئه الفطرية وذلك حتى يتمكن الإنسان من الاستفادة منه.
- والوحي قد دلل على مسائل كثيرة ذكرها بالأدلة العقلية التي يستند العقل إلى مثلها في إثبات الحقائق من مثل مسائل الألوهية والبعث ونحوها ، خلافاً لمن يرى من الفلاسفة أن دلالة الوحي إنما هي بطريق الخبر المجرد فقط.

www.dammam.gov.sa

أسئلة الوحدة السادسة

- ١- يتمثل الوحي في صور عديدة . اذكرها .
- ٢- تحدث عن تنزه الوحي عن التأثير بالزمان والمكان .
- ٣- يستند العقل إلى أدلته القائمة على

ما قدمه الوحي في ميادين المعرفة

- **ما قدمه الوحي في ميادين المعرفة:** عالم ما وراء الطبيعة هو أول ما اجتذب أفكار الفلاسفة من المباحث للنظر فيها ، وحينما انفصل العلم الطبيعي عن الفلسفة كانت الفلسفة هي الميتافيزيقا لدى كثير من الفلاسفة ؛ ولهذا وصفت الفلسفات التي تنكر الميتافيزيقا باللافلسفة..
- ومع ما واجهته الفلسفة من صعوبات في تناول هذا المجال فإنها لا زالت تبحث فيه لعلها تصل إلى معرفة تطمئن إليها في المسائل الوجودية الكبرى .

الفلسفة وما وراء الطبيعة

- يقول بارتيلمي سانت هيلير: “ هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا ما العالم؟ ما الإنسان؟ من أين جاء؟ من صنعها؟ من يدبرها؟ ما هدفها؟ كيف بدءا؟ كيف ينتهيان؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة؟ هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلاً جيداً ، أو رديئة مقبولة أو سخيفة”.
- **الفلسفة وما وراء الطبيعة:** بحثت الفلسفة في ما وراء الطبيعة ، والحق أنها لم تقدم شيئاً رغم ذلك التراث الكبير

- ولهذا فقد أعلنت الفلسفة عجزها عن الإنتاج المطلوب في ميدان الماورائيات ؛ وبما أن عماد الفلسفة في هذا الميدان هو العقل ؛ فهذا يعني عجز العقل في هذا الميدان.
- يقول إيمانويل كانط: (إن عقل الإنسان مركب تركيباً يؤسف له ، فإنه مع شغفه بالبحث في مسائل لا تدرکها حواسنا لم يستطع أن يكشف عن معمياتها).
- ونتيجة لقصور العقل في هذا الميدان فقد اتجه بعض الفلاسفة المعاصرين في أوروبا إلى اعتبار البحث في

- الماورائيات لغواً لا فائدة من ورائه وذلك لسببين:
- ١- أن العقل حينما يتناوله لا يقع على حدوس يطبق عليها مقرراته كالحدوس المتوفرة في عالم الطبيعة.
- ٢- أن التاريخ أثبت -كما يرى كانط- أن الفلاسفة لم يتفقوا على شيء من تلك المسائل.
- وكانت نهاية المطاف قيام الفلسفة الوضعية التي أنكرت الميتافيزيقا واعتبرت البحث فيها نوع من الوهم والفسطة كما يرى هيوم.

■ هل حقق العلم المادي تطلعات البشرية ؟

- واقع الحال أن العلم سار بالناس عكس ما كان يتوقع الوضعيون من نسيان الميتافيزيقا ومسائلها ؛ فقد ألهم فيهم شوق التطلع إلى ما وراء عالمه من مجاهيل ؛ ومن ثم صار العلم داعية للإيمان بذلك العالم وبخالق الوجود.
- بل إن مؤسسي الوضعية ودعاتها قد انتهوا إلى ذلك من حيث يشعرون أو لا يشعرون :
- **وإيمانويل كانط:** الذي استبعد الميتافيزيقا بحجتيه النقدية

- والتاريخية ، يعود فيقول : (ليحاول الفكر الإنساني أن يتوقف نهائياً عن الأبحاث الميتافيزيقية ، فذلك ما لا يمكن أن يتوقعه أحد ، كما لا يتوقع أن يرانا لكي لا نتنفس -دائماً - هواءاً فاسداً أن نفضل أن نتوقف تماماً عن التنفس).
- **أما كونت:** الذي قضى بنهاية الدين ، فقد تصوف آخر حياته ، ووضع ديناً جديداً بدأ يفصل تعاليمه وطقوسه قبل موته.

■ **وليتريه :** [أميل مكسيميليان بول . طبيب وفيلسوف فرنسي ت ١٨٨١ م من تلاميذ كونت]

- الذي حصر نفسه في العلوم الطبيعية ، كانت نتيجة إيغاله فيه إحساسه بأنه محفوف بأسرار الكون وآياته.
- نحن إذن : بين إنكار وإقرار ، رفض ثم قبول ، فهل هذه الأحكام المتناقضة تصب على موطن واحد ؟ ومن خلال النظر في أسباب القبول والرفض للميتافيزيقا عند الوضعية نرى الآتي:
- **١- أن الرفض آت من إثبات عجز العقل وعقمه في مجال**

مجال الميتافيزيقا.

- **٢- والاعتراف منصب على عالم ما وراء الطبيعة ذاته بغض النظر عن مصدر معرفته والإقرار بتطلع البشر إلى ذلك العالم .**
- وبهذا يمكن الجمع بين فلسفتي إيمانويل كانط فيكون النقد عنده موجهاً نحو العقل وعقمه في إدراك الماورائيات والاعتراف بالتطلع البشري إلى ذلك العالم والحاجة إلى معرفته.

- وإذا عدنا إلى **ديكارت** : في دائرة الفلسفة الأوروبية نراه تقدم خطوة أكثر من كانط ، فقرر أن قضايا ذلك العالم لا يمكن العلم اليقيني بها إلا بنعمة إلهية خارقة للطبيعة .
- والحق أن النعمة قد أسديت من الله إلى البشرية متمثلة بالوحي الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ والذي قدم جميع ما يتطلع إليه الإنسان ويحتاجه في حياته وما بعدها .

ما وراء الطبيعة في الوحي المحمدي

- **ما وراء الطبيعة في الوحي المحمدي:**
- يقسم العلماء المسلمون العقيدة التي جاء بها الوحي في الإسلام إلى قسمين:
- **الأول : المسائل .**
- **الثاني : الدلائل .**
- **المسائل:** طرق الوحي جميع موضوعات الميتافيزيقا ، وتمثل مباحثها جزءاً كبيراً ومن النماذج على هذه المسائل:

■ **قضية الألوهية:** جاء فيها: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥٤) الاعراف.

■ **الإنسان :** وعنه قال: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ (٧١) ص وقال مبيناً الحكمة من وجوده : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) الذاريات

- **وفي حكمة خلق الكون وعلاقة الإنسان به:** ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣) الحاقة.
- **وفي مصير الكون ونهايته :** ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (١٣) وَمُحِلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) الحاقة.

- وفيما يكون بعد انتهاء هذه الحياة يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)﴾ إبراهيم.
- ويقول مبيناً الحكمة من الحياة الآخروية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩)﴾ التحل.
- كما ذكر الوحي بعض العوالم الغيبية المحيطة بالإنسان أو

ذات العلاقة به ، فتحدث عن الملائكة ووظائفهم وعلاقتهم بالإنسان : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾ التحريم. ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ الانقطاع. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)﴾ الأنعام

■ وذكر الجن وصفاته : ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥)﴾ الرحمن ، ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ (٢٧)﴾ الأعراف.

- ما امتاز به منهج الوحي عن منهج الفلسفة في دائرة المسائل : راعى منهج الوحي فيما قدمه في دائرة المسائل :
- ١- الطبيعة البشرية المتلقية لهذه المسائل من حيث قدرتها على إدراكها وفهمها. حيث لم يجعل الوحي تعريف الأشياء قائماً على منهج البحث في الماهيات وتحليل كنهها ، بل نهج في ذلك تقرير وجودها والتدليل عليها بآثارها ومظاهرها ؛ ولهذا كان الوحي ؛ ولهذا كان

الوحي يصرف عقول الناس عن الإغراق في بحث الماهيات مما لا يعود على هذه العقول إلا بتبديد الطاقة والجهد يقول سبحانه : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾ الإسراء.

■ ٢- حاجتها في أمور دينها ودنياها: حيث اتجه الوحي في هذا الجانب إلى ذكر الجانب العملي في علاقة الإنسان بتلك القضايا الميتافيزيقية التي ذكرها دون الانقطاع إلى المسائل النظرية البحتة فعند حديثه عن الله يركز على

إحاطته بالإنسان وهيمنته عليه ، وحينما يتحدث عن الملائكة يبين مهمتهم المتعلقة بالإنسان ، وحينما يتحدث عن اليوم الآخر يركز على بيان مسؤولية الإنسان في ذلك اليوم يقول تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (١) ^{المجادلة .} ويقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٤١) ^{التازعات .}

- والوحي بهذا يختلف عن الفلسفة التي لم تراع هذين الأمرين :
- ١- فأوغلت في في بحوث لا طاقة للعقل بها ؛ مما اضطرها إلى أن تخضع المسائل الغيبية لقوانين الطبيعة فتقيسها عليها كما فعل بعض الفلاسفة كأفلوطين وغيره في بحثهم تعلق عمل الخالق بالمخلوقات فقاسوه بالإنسان ، كما أخطأ المتكلمون من المسلمين الذين قاسوا صفات الله على صفات المخلوقين فصاروا يرون بعض الأعمال واجبا عليه وبعضها حسنا وفق المعايير البشرية .
- ٢- كما أن الفلسفة حصرت غايتها من بحوثها الميتافيزيقية في المعرفة فقط دون نظر إلى الجانب العملي فلم تعط الإنسان

- سوى فكرة جافة ترسم في صورة جامدة مما جعل مصير الميتافيزيقا الانعزال عن حياة الناس .
- وتبعاً للحيثية الثانية - التركيز على الجانب العملي - فقد قدم الوحي للإنسان هذه المسائل بتفصيل شامل يعطيه معرفة وافية وتصوراً واضحاً ، فقد تحدث بالتفصيل عن الله وأسمائه وصفاته وع اليوم الآخر وأحداثه ...
- وهذا خلافاً لمنهج فلسفة الميتافيزيقا التي لم تصل إلا إلى تصورات مجملة وأفكار مجردة بل يجعلون ذلك غايتهم

- لأنهم يرون أن المعرفة كلما أعمنت في التجريد أدى ذلك إلى رب العقل من الوقوع على الحقيقة كما هي وهذا ما يقول به المثاليون .
- وحينما نحى بعض المتكلمين هذا المنحى الفلسفي ، وسعى إلى معرفة الله عن طريق السلب انتهى به الأمر إلى الإيمان بوهم لا وجود له .
- **الدلائل :** حينما عرض الوحي أصول العقيدة قدم الدلائل العقلية عليها بأسلوب محكم وبرهنة قاطعة ولم يكتف

- بالخبر المجرد أو الاعتماد على العاطفة بأسلوب شعري كما يطن البعض من الفلاسفة وغيرهم يقول الإمام الزركشي: (ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين).
- ومن نماذج الأدلة التي ساقها الوحي لإثبات حقيقة ما يدعو إليه من أصول الدين ما يأتي:

- ١- دليل الاختراع: وقد دلل به الوحي على وجود الله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) ﴾ الطور.
- ٢- دليل التمايز: وهو لإثبات وحدانية الله تعالى عن طريق الاستدلال بانتظام الكون وسلامته من الاختلال وقد يمسى هذا الدليل بقياس الخلف ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾ الأنبياء.
- ٣- أدلة إمكان البعث: ساق الوحي عدداً من الأدلة رداً على

الذين استبعدوا البعث والإعادة من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) ﴾ مريم.

وهذا قياس على النشأة الأولى ومعلوم أن إعادة الشيء أهون من بدئه. وقوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَا إِنَّا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ (٩٩) ﴾ الإسراء. وهو من قياس الأولى

- أيضاً فالذي خلق السموات والأرض قادر على خلق الإنسان الذي هو جزء منها.
- فأدلته: تجمع بين العمق والوضوح والدقة أقرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وانظر كيف اجتمع الاستدلال والتهويل والاستعظام في هذه الكلمات القليلة. بل الدليل نفسه جامع بين عمق المقدمات اليقينية ووضوح المقدمات المسلمة ودقة التصوير لما يعقب التنازع من "الفساد" الرهيب. فهو برهاني خطابي عاطفي معاً. وهذا ما لا نجده في كتب الحكمة النظرية).

- ولعل هذا الأسلوب هو الذي جعل بعض الفلاسفة يتصورونه كتاب عاطفة شعرية ؛ لأن أدلته لم تأت على نسق الأدلة الفلسفية المجردة ، كما تختلف في منهجها حيث تنطلق بالإنسان من الوقائع المحسوسة التي يعيشها إلى آفاق العلم الإلهي خلافاً للفلسفة التي حصرت مباحثها في القضايا الفكرية والحقائق المجردة.
- والعلم اليوم يعود إلى منهج القرآن وهذا ما نراه في مجال العلوم الطبيعية التي كشفت دراساتها عن أسرار الكون

العلماء بين الفلسفة والوحي

- وعجائب الخلق الدالة على الخالق.
- **العلماء بين الفلسفة والوحي:** لقد دفع انبهار بعض المسلمين في العصور الأولى بالفلسفة اليونانية إلى تصور أن العلم اليقيني لا يمكن بدون تلك الفلسفة ، ولما تحقق لبعضهم أن المعرفة التي تحققها الفلسفة في ميدان العلم الإلهي وما وراء الطبيعة لا تتجاوز الحيرة والضلال رجع هؤلاء إلى الوحي ومن هؤلاء الإمام الغزالي الذي قال بعد دراسة الفلسفة وإعجابه بمنطقها

- (وأما منفعته - أي علم الكلام - فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخطيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف).
- ومنهم : أبو عبد الله الرازي والشهرستاني والجويني وأبو الحسن الأشعري الذي كان على الاعتزال ثم رجع إلى مذهب السلف.

أسئلة الوحدة السابعة

- ١- تحدث عن الصعوبات التي واجهتها الفلسفة في تناول مجال ما بعد الطبيعة .
- ٢- يقسم العلماء المسلمون العقيدة التي جاء بها الوحي في الإسلام إلى قسمين . ما هما ؟.
- ٣- تحدث عن أسلوب الوحي في عرضه لأصول العقيدة .

الإلهام والحدس

- **الإلهام** : لغة : التلقين .
- **قال الراغب في مفرداته** : (الإلهامُ : إلقاء الشيء في الرُّوع ، ويختصُّ ذلك بما كان من جهة الله تعالى ، وجهة الملا الأعلى . قال تعالى : فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (النس/ ٢٨)
- **وعرفه ابن سينا** : بأنه ما يلقيه العقل الفعال في نفس الإنسان المؤيدة بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية .
- **أما في عرف الصوفية** : هو النفث في الرُّوع ، والإيقاع

- في القلب من العلم غير القائم على الاستدلال والنظر .
- وظهور هذا العلم لدى الإنسان يسمى : إشراقاً ، وكشفاً ، وذوقاً ويسمون الموطن الذي يقع فيه الإلهام ويظهر فيه الإشراق بالبصيرة ويعتبرونها إحدى مصادر المعرفة .
- **الحدس** : الظنُّ والتخمين . يقال : هو يحدس بالكسر ، أي يقول شيئاً برأيه وهو كذلك السرعة في السير .
- **اصطلاحاً** : في اصطلاح القدماء : سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول .

الحدس في الفلسفة المعاصرة

- **قال الجرجاني** : الحدس : هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب .
- **الحدس في الفلسفة المعاصرة** :
- **ديكارت** : عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة من الحقائق يفهمها بتمامها في زمان واحد .
- **شوينهور** : معرفة حاصلة في الذهن دفعة واحدة من غير نظر واستدلال عقلي .

- ومن الفلاسفة المعاصرين الذين تبنوا الحدس مصدراً للمعرفة الفيلسوف الفرنسي : هنري برجسون والحدس عنده : عرفان شبيه بالغريزة عند الحيوان ينقلنا إلى باطن الشيء يطلعنا على ما فيه من طبيعة مفردة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ .

- **الفرق بين الحدس والإلهام** :
- يرى ابن سينا أن الحدس ثمرة الإلهام (فالإلهام هو ما يلقيه العقل الفعال في الإنسان والحدس قبول هذا الإلهام .

■ والكشف الصوفي والحدس متفقات تقريباً – عند الفلاسفة

- في طبيعتهما ، التي تتمثل في المعرفة المباشرة دون استناد إلى التجربة والاستدلال ، لكنها يختلفان بعد ذلك :

- **فالكشف** : يتعلق بملكة مغايرة للعقل أسمى منه ، تكون هي مهبط الإلهامات .

- **أما الحدس** : فإنه يتم بالعقل – عند بعضهم – بيد أنه يختلف عن المعرفة الاستدلالية بأنه معرفة مباشرة .

- **والكشف :** عند الصوفية – لا يتم إلا بعد رياضة روحية وتصفية ، يتم بها جلاء البصيرة لتلقي الأنوار.
- **أما الحدس :** فلا يحتاج ذلك دائماً عند العقليين.
- هذا بالنسبة للحدس بمعناه العام في الفلسفة ، أما الحدس عند برجسون فإنه أقرب إلى الكشف الصوفي فقد جعله مبايناً للعقل.
- ثم إنه جعل ميدانه الميتافيزيقا وهو مناط الكشف عند الصوفية

- **إلا أن الحدس عند برجسون :** معرفة منبعثة من داخل الإنسان لم تأت من خارج.
- **بينما يرى الصوفية:** أن الإلهام إفاضة الله من علمه الأزلي على العبد ، أو هو ارتقاء العبد وانكشاف الحجاب أمامه ليطلع على اللوح المحفوظ فيعرف فيه الحقائق.
- **الإلهام :** للصوفية في مصدرية المعرفة مصطلحات عديدة ضمن دائرة الإلهام مثل:

- **الإشراق:** هو «ظهور الأنوار العقلية ولمعائها وفيضاتها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية.
- **والكشف:** هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً.
- **أما الذوق:** في معرفة الله: عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره.

- **أما البصيرة:** فهي مصدر المعرفة في الإنسان الصوفي ، وهي : (الملكة التي ترى حقائق الأشياء وبواطنها ، كما يرى البصر ظواهر الأشياء المادية ، وهي مورد الإلهام وموطن الإشراق ومصدر الكشف والذوق).

الإلهام في الإسلام

- **الإلهام في الإسلام :**
- للإلهام المعترف به في الإسلام شرطان :
- شرط في ذاته
- شرط في مدعيه
- **أما الشرط المتعلق بمدعيه:**
- فهو الالتزام الصادق بالشرع الإسلامي عموماً في منهجه في الحياة وفي سلوكه ؛ لأن الإلهام دليل تولى الله للعبد والله لا

- يتولي إلا الصالحين. وقد أخطأ كثير من الصوفية حين جعلوا وسيلة الإشراف الفكري لديهم عدم الانشغال بالعبادات المشروعة ، حيث يجلس أحدهم خالياً ويكرر لفظ الجلالة إلى أن يكون الإشراف .
- وقد خالف الصوفية منهج الرسول ﷺ وصحابته عندما جعلوا الهدف المقصود هو المعرفة ؛ والذي حصل للرسول ﷺ وصحابته من معرفة إنما كان منة من الله تعالى دون استشراف منهم أو جلسات انتظار

- وقد وعي هذه الحقيقة بعض الصوفية فحذر من الانقطاع لهذا الهدف والغفلة عن الهدف الأسمى المطلوب من الشخص ، يقول أبو علي الجوزجاني: (كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة فسيبيل الصادق مطالبته النفس بالاستقامة ، فهي كل كرامة ، ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع ، ولا يبالي ، ولا ينقص بذلك ، وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة) .
- وأما قول بعضهم : إن لهم في هذا الشأن أسوة حسنة

بالرسول

ﷺ حينما كان يتحنث في غار حراء - قبل البعثة - فقد تبين بطلان الاحتجاج به بحكم أنه مما كان قبل البعثة ولم يأتي ما يؤيده كما أن القول بهذا التطلع على استشراف العوالم الغيبية مما تبطله ظروف النبي ﷺ بدليل أن فزع حينما جاءه الوحي بل في هذا الإدعاء تصديقاً لمزاعم المستشرقين الذين يقولون : إن محمداً كان يتطلع أن يكون النبي الذي تبشر به الكتب المقدسة ؛ وأنه اتجه إلى الغار راجياً نزول الوحي وأنه من فرط استغراقه صار يخيل إليه

- أن يوحى إليه . وهكذا يكون المنهج والغاية خارجاً عن حدود الشرع الإسلامي .
- **وأما الشرط المتعلق بالإلهام ذاته:** فأن يكون خاضعاً لقواعد الشريعة ونصوصها وذلك بأن يعرض عليها ويوزن بمعيارها فإن كان مأموراً به أو مباحاً قبل وإلا رُد .
- وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يحدث هذه الأمة يعرض ما يقع له على ما جاء به رسول الله ﷺ

- قال ابن تيمية - رحمه الله - : (وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ... يقول الشيخ أبي سليمان الداراني : انه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة) .
- وقد ضلت طوائف من الصوفية رأوا أن الولي إذا كُوشف تجاوز مرتبة المطالبة بالالتزام بالشريعة لاستغنائه عنها

بمكاشفاته كما روي عن بعضهم : (من أراد التحقيق فليترك الشرع والعقل).

- كذلك ينبغي أن يكون في حدود مفهوم الإلهام الذي هو إفاضة الله شيئاً من علمه على عبده بأي طريق من الطرق المذكورة هذا هو الإلهام الذي يتمثل في ذروته وحي الأنبياء
- أما أن يُتجاوز به حدود ذلك ليصبح مشاركاً لله في علمه الأزلي نتيجة الاتحاد أو انطباع ما في اللوح في قلب العارف ؛ فهذا ما لا يقره الدين فهذا رسول الله ﷺ

يقول عن نفسه : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ (٥٠) الأنعام. فإذا نُفي علم الغيب عن رسول الله فمن باب

- أولى عن غيره .
- وقال سبحانه : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (٥٩) الأنعام. وفي الآية ما يدفع أباطيل مدعي الغيب كما يقول الإمام الشوكاني.
- وجاء في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر الذي

يجعل الصوفية منزلته في العلم الغاية التي يسعون إليها أنه قال لموسى عليه السلام : (ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر).

- فالإلهام الحقيقي لا يناقض تعاليم الشريعة الإسلامية وهو فيض من علم الله تعالى وليس تسامياً للملهم بروحه نحو الذات العلية لتستوي مع البارئ وتشاركه في علمه تعالى الله عن ذلك.

مصدر الإلهام

- **مصدر الإلهام :** ليس بالمستطاع التيقن بأن مصدر هذا الكشف والإلهام هو الله ؛ ذلك أن الإلهام بحسب مصدره ثلاثة أنواع :
- أ- إلهام من الله - سبحانه - للعبد.
- ب- إلهام من الجن والشياطين.
- ج- إلهام ذاتي ينبع من النفس ويعود إليها فيتوهمه من الخارج وليس كذلك ويحصل ذلك بالرياضة وتصفية النفس عن الشواغل فعندما تتجرد هذه النفس يتمثل فيها حديثها السابق معاني مجردة تستولي على حواس الجسد محاكية بذلك نفس

- النائم ؛ حينما يرى الرؤية التي هي حديث النفس.
- وإذا كان مصادر الإلهام متعددة كما ذكرنا فهذا يجعل الذي الذي حصل له الإلهام لا يتيقن المصدر ؛ لأن الشيطان قد يقذف في النفس وحيه وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لِعَيَّلَانَ بْنِ سَلَمَةَ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمَّا طَلَّقَ نِسَاءَهُ، وَقَسَمَ مَالَهُ بَيْنَ بَنِيهِ : إِنِّي لَا أَظُنُّ الشَّيْطَانَ فِيمَا يَسْتَرِّقُ مِنَ السَّمْعِ سَمِعَ بِمَوْتِكَ، فَقَذَفَهُ فِي نَفْسِكَ).
- ودليل ذلك من الواقع : التناقضات التي يخبر بها أولئك عما

- ألهموا به أو كُشف لهم وكلهم يدعي أنه من الله .
- بل إنهم يعترفون بأن الكشف تابع للفكرة التي تكون مستولية عليهم حال التصفية وإن كانت مخالفة للشريعة كما حدث للشيخ السرهندي وشيخه عبد الباقي الدهلوي الذين استولت عليهما فكرة وحدة الوجود ولكن التوفيق أدركهما فرجعا عنها .
- ولهذا فإن طبيعة المعرفة الإلهامية لا يمكن أن ترتقي إلى مرتبة اليقين في تحديد مصدرها ؛ وبناء على انتفاء اليقينية في

مصدره

- ينتفي بلوغه مرتبة العلم اليقيني بدون القرائن الرافعة له كما إذا تأيد بالنص الشرعي ؛ ومن ثم فغاية ما يفيد هو الظن إذا صدر من مسلم مشهود له بالصلاح .
- ولهذا كان الموقف السليم للعلماء في اعتباره أو عدمه في مجال الأحكام وسطاً بين من اعتبره حجة بمنزلة الوحي المسموع من رسول الله ﷺ ومن اعتبره خيلاً كما بين ذلك ابن تيمية .
- وخلاصة ما سبق :
- أن الإسلام أقر الإلهام مصدراً للمعرفة بخصائصه السابقة مع الاحتمال الوارد عليه .
- وأن منهج المعرفة الذوقية الكشفية التي وضع الصوفية قواعده ليس هو التحديث والإلهام الذي أقرته الشريعة . وأن الأقرب فيها أن تكون نمطاً من أنماط المعرفة الإشرافية .
- فقد شرح الكندي منهج المعرفة الصوفية في شرحه رسالة (القول في النفس) - لأرسطو وأفلاطون - وقد أيد آراء أفلاطون وفيثاغورس فيما قرراه من أن النفس إذا صقلت بالرياضة وتطهرت من التعلق بالمحسوسات استطاعت معرفة حقائق الأشياء .
- وكان الحكيم الإشرافي شهاب الدين السهروردي (ت ٥٨٧هـ) يصف نفسه بأنه المشائي الصوفي ، يقول الشهروزي : (إنه كان جامعاً بين الفلسفة الذوقية الإشرافية ، والفلسفة البحثية المشائية) .

حكم الإسلام في منهج المعرفة الإلهامية

- **حكم الإسلام في منهج المعرفة الإلهامية :**
- بعد أن عرفنا حكمه في الإلهام لابد من معرفة حكم الإسلام في هذا المنهج في المعرفة ، وحكم الإسلام هنا يتناول :
- ١ - مقدماتها (المعرفة الإشرافية) .
- ٢ - ويتناولها بذاتها (الكشف) .
- فأما المقدمات :
- ١ - فإذا كانت **مشروعة** ومباحة كالتعفف والورع والذكر

وتدبر القرآن فهي مطلوبة وحري بمن التزامها أن يفتح الله عليه من مثل أن يكشف بها يبشره بخير.

- **٢- وإذا كانت المقدمات - كالعزلة والخلوة والتخفف من الأكل والشرب - ما لا يترتب منه تفريط في مطلوب الدين ، ولا ارتكاب لمنهي عنه فإنها تكون مباحة في ذاتها وقد تؤدي إلى شيء من الكشف الذي يتمثل من خلال هواجس النفس ومدرجاتها العقلية قبل الاستغراق حيث تتحول إلى معان تشكل للقوة السامعة بشكل الأصوات المسموعة ولللبصرة**

بشكل الأشخاص المرئية فيرى صورها ويسمع الخطاب وكله حديث نفس ليس في الخارج منه شيء).

- **٣- وإذا كانت المقدمات من الأمور المحرمة في الشرع - مما ابتدع في الدين من عبادات وأذكار وتجويع للنفس وتعذيب للبدن واستنكاف عن تدبر القرآن ونحوه - فهذه مردودة في الدين ولا يمكن أن تكون هذه سبباً لحصول إلهام من الله يكرم به هذا العاصي أو مؤدية إلى كشف مما يفضل الله به على عباده المؤمنين.**

- **وأما الكشف ذاته:** فإنه يعرض على الشريعة فيرد ما مخالفاً لها ويُقبل ما كان متفقاً معها ، وإن لم يكن فيه ما يخالف الشريعة ولا ما يتأيد به منها : جاز اعتباره والعمل بموجبه كمن كُوشف مثلاً بأن هذا الماء نجس فيجوز له التحول إلى ماء آخر.
- وبناء عليه فلا اطراد بين المقدمات ونتائجها ، فلا يكون الكشف الحاصل لمستقيم المقدمات مسلماً بناء على سلامة هذه المقدمات بل لا بد من عرضه على الشريعة . وقد حصل

من هذا حوادث لبعض الصالحين فردوها منهم : أبو ميسرة المالكي وعبد القادر الكيلاني.

- أما قول الشاطبي رحمه الله - : (إن ما ظهر من الخارقة من استقامة أو اعوجاج فمنسوب إلى الرياضة المتقدمة ، والنتائج تتبع المقدمات بلا شك) ، منتهياً من ذلك إلى أن الخوارق إذا وردت على صاحبها فلا حكم فيها للشرع وإن فرض أنها غير موافقة له ؛ فإنه يقصد الحكم المتعلق بفعل المكلف جوازاً أو حرمة ونحوها مما يترتب عليه العقاب في جانب الحرمة مثلاً

وهذا حق فالعبد لا يؤاخذ بما لا اختيار له فيه وإنما يتعلق الحكم بالمقدمات التي له اختيار فيها فإذا التزم الشريعة وورد عليه أو كشف له ما فيه مخالفة للشرعية مما لا يستطيع له دفعاً فلا حرج عليه في ذلك. يؤيد هذا: أن الشاطبي قال في المسألة نفسها: (مخالفة الخوارق للشرعية دليل على بطلانها في نفسها).

- **مسائل ذات صلة بموضوع الإلهام:** هنالك ثلاث مسائل ذات صلة بالموضوع :

- **الأولى:** أن البصيرة التي هي مصدر المعرفة الإشرافية لدى الإشرافيين لا تعدو أن تكون ملكة كسائر ملكات الإنسان الأخرى محدودة القدرة والمدى ، ثم أن هذه القوة لا يمكن أن تتجرد من التأثيرات الخارجية كما اعترف بذلك كبارؤهم ومفعول الحواس كلياً إذ لا بد أن تتأثر مشاهداته برواسب ثقافته السابقة.
- وكان الإشرافيون الإغريق والمصريون يرون في كشفهم ومشاهداتهم تأييداً لكثير من الأوهام المصرية واليونانية

وأخيلتهم كما كان كثير من الإشرافيين المسلمين تتراءى لهم المفروضات التي افترضها فلاسفة اليونان حقائق ثابتة وموجودات مسلمة .

- ثم إن المعرفة المستفادة منها محصورة في الشخص المكاشف لا تتجاوزه إلى غيره وهذه خاصية من خواصها وهي من أكبر أسباب الاختلاف في صحة الكشف وما يخبر به المكاشفون.

- **الثانية:** أن الرؤية تتفق مع الكشف في الطبيعة ، قال ابن القيم: (وَالرُّؤْيَا كَالْكَشْفِ، مِنْهَا رَحْمَانِيٌّ، وَمِنْهَا نَفْسَانِيٌّ، وَمِنْهَا

شَيْطَانِيٌّ) وقد بين رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالرؤيا مصدر المعرفة المنامية فقد روى الشيخان وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِي الْيَقَظَةِ، فَبَرَاهُ فِي الْمَنَامِ». فالرؤيا بناء على هذا الحديث ثلاثة أنواع ، وهي أوسع مساحة بالنسبة للحاصلين عليها من الكشف ، وينبغي أن تكون كالكشف خاضعة للشرعة ، وأن يجري عليها ما يجري على الكشف.

إلهام الأنبياء ورؤياهم

- **الثالثة:** إلهام الأنبياء ورؤياهم: ما سبق من الكلام المتعلق بالإلهام والرؤيا ، إنما هو لغير الأنبياء ، أما أنبياء الله – صلوات الله وسلامه عليهم – فإن إلهامهم ورؤياهم وحي معصوم متيقن أن مصدره الله تعالى .
- قال ابن عباس ؓ: (رؤيا الأنبياء وحي).
- ولهذا أقدم نبي الله إبراهيم –عليه السلام– على ذبح ابنه إسماعيل بناء على الرؤيا التي رآها كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ

أَنِّي أَدْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَقَدَرْنَا بِذَنْبِكَ عَظِيمَ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) ﴿ الصافات.

- فاستجابة الخليل –عليه السلام– لهذه الرؤيا وحكمه بمقتضاها إنما لقطعه بأنها وحي من إلهي.

اسئلة الوحدة

- ١- عرف الإلهام في اللغة والاصطلاح .
- ٢- للإلهام المعترف به في الإسلام شرطان . اذكرهما .
- ٣- ما الفرق بين رؤيا الأنبياء ورؤيا غيرهم ؟ .

المحاضرة ٩ نظرية المعرفة

العقل

- **العقل:** في اللغة: يقول ابن فارس: ((عَقَلَ) الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ مُطَرَّدٌ، يَدُلُّ عَظَمُهُ عَلَى حُسْبَةٍ فِي الشَّيْءِ أَوْ مَا يُقَارِبُ الْحُسْبَةَ. مِنْ ذَلِكَ الْعَقْلُ، وَهُوَ الْحَاسِبُ عَنْ ذَمِيمِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ).
 - قال في تهذيب اللغة: (سَمِّيَ عَقْلُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ تَمَيُّزُهُ الَّذِي بِهِ فَارَقَ جَمِيعَ الْحَيَوَانَ عَقْلًا لِأَنَّهُ يَعْقِلُهُ ، أَي يَمْنَعُهُ مِنَ التَّوَرُّطِ فِي الْهَلَكَةِ ، كَمَا يَعْقِلُ الْعِقَالُ الْبَعِيرَ عَنْ رُكُوبِ رَأْسِهِ)
 - **العقل في الاصطلاح:** وإذا كان عقال البعير شيئاً مادياً ؛ فإن عقل الإنسان غير مُحَسَّس ولذا عرفوه بأنه: ملكة ، أو قوة ، أو نور.
 - **قال المحاسبي:** (إنه غريزة جعلها الله في الممتحنين من عباده لا يوصف بجسم ولا لون ، ولا يُعرف إلا بفعاله).
 - والذين عرفوا العقل بأنه جوهر من العلماء المسلمين - لم يقصدوا بجوهريته مفارقتها للمادة وقيامه - مستقلاً - بنفسه كالعقل الفعال في الفلسفة اليونانية ؛ وإنما أرادوا بيان اختلاف
- فعله عن فعل الاعضاء المادية في الإنسان كالسمع والبصر والحس ، وقصدوا من تجرده عن المادة سبق مبادئه المدركات الحسية ولهذا فإنهم يجعلون فعله مقترناً بالمادة.
- **قال الجرجاني:** (إنه جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله - جوهر روحاني خلقه الله متعلقاً بالبدن).
 - وتحدث القرآن عن العقل بهذا المعنى مركزاً قيمته في أفعاله.

العقل في الفلسفة

- **العقل في الفلسفة:** وفدت الفلسفة اليونانية ومعها مصطلحاتها على البيئة الإسلامية من خارجها .
- فالعقل في الفلسفة اليونانية ينقسم إلى نوعين:
- ١ - عقل في الإنسان بمثابة العرض القائم به.
- ٢ - وعقل آخر مفارق للمادة وهو جوهر قائم بنفسه.
- والعقل الأول صنفان:
- ١ - عقل بالملكة: وهو العلم بالضروريات واستعداد النفس

- بذلك لاكتساب النظريات.
- ٢- وعقل مستفاد : حينما تكون النظريات مخزنة عند العقل بالملكة ، حاضرة لا تغيب عنه.
- وهذا الصنف (المستفاد) هو الذي يطلق عليه العرب لفظة : العقل .
- أما الصنف الأول (بالملكة) فإنه المقصود من قولهم عنه : إنه غريزة أو نور أو علوم أولية .

- وبالصنف الثاني (المستفاد) ورد الكتاب العزيز في مثل قوله تعالى ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) البقرة.
- قال الراغب الأصفهاني: بعد أن قسم العقل إلى غريزي ومكتسب: (وكل موضع ذم الله الكفار فيه بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول).
- أما النوع الثاني (في اليونانية) : فهو العقل الفعال : وهو عقل مفارق باق ، منه تفيض الصور ويستمد العقل الإنساني المعرفة

منه ، وقد يتحد العقل الإنساني به ، ويسمى حينئذ عقلاً قدسياً .

- وفوق العقل الفعال عقول أخرى هي في الأغلب عشرة .
- وقد حاول بعض الفلاسفة المسلمين إيجاد محل لهذا العقل (الفعال) في الثقافة الإسلامية فكان الفارابي يسميه : الروح الأمين وروح القدس ، ويرى الغزالي أن النص ورد به كما في قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (٥) النجم . وهو يجعل الملك عقلاً بحكم تجرده عن المادة ومنه تفيض المعرفة على عقل الرسول ﷺ

- ومن أخذ منهم بالعقول المفارقة الأخرى قالوا : إنها الملائكة والأفلاك التي ذكرت في الفلسفة اليونانية على أنها مقار هذه العقول ويسمونها الفارابي : الملائكة الأعلى .
- وقد رفض علماء السلف هذا التوفيق كابن تيمية الذي كشف عن هذا الخلط بين نظرية العقل لدى اليونان وما جاء به الشرع في هذا الشأن وبين أخفاق هذا التوفيق من خلال :

عقل
كلية الأدلة

- ١- أن لفظ العقل عند المسلمين قد يُراد به الغريزة التي

- بها الإنسان أما ، أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه وليس هذا مطابقاً للغة الرسول والقرآن.
- ٢- ثم ترجمة العقول المفارقة بالملائكة تفسير خاطئ لأن اليونان وثنويون عبدة كواكب ولا علم لهم بالملائكة.
- ٣- والعقول المجردة -عند التحقيق- هي أشياء ذهنية ليس لها وجود في الأعيان بل هي كالمثل الأفلاطونية.
- إن أول من قال بالعقل الفعال هو: أرسطو وجاءت فكرته عنه

غامضة إذ لم يحدد له خصائص ، كما جعله مفارقاً للمادة وهو يناقض قوله في النفس حيث لا يرى لها وجوداً مباحين للمادة ؛ ولهذا اضطرب شراح فلسفته من بعده في القول به فاعتبره الإسكندر الأفروديسي : الله ، بينما اعتبره ثامسطيوس قوة تجريدية في العقل البشري ، وبهذا قال ابن رشد من المسلمين.

- **العقل عند ممثلي الفلسفة الإسلامية (علماء أصول الفقه):**
- ١- فقد عرفوا العقل بأنه : (قوة غريزية للنفس تتمكن بها من إدراك الحقائق والتمييز بين الأمور).



العقل في الفلسفة الحديثة

- ٢- كما عرفوه بأنه : (العلم الضروري الذي يقع ابتداء ويعم العقلاء). فالعقل عندهم قوة مدركة تتمثل في علوم ضرورية وهذا هو العقل الذي أنيط به التكليف في الشريعة الإسلامية بحيث يزول التكليف حال زواله.
- **العقل في الفلسفة الحديثة:** تعددت تعريفات العقل في الفلسفة الحديثة وهي في مجملها تناول ظاهرة الوعي الإنساني ، هذه الظاهرة المسماة بالعقل يعرفها العقليون بأنها : (مجموعة المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة ، المتميزة بضرورتها ، وكنيتها ،

- واستقلالها وهي الفارقة كما يرى -الفيلسوف لايبنتز- بين الإنسان والحيوان).
- يقسم (الاند) العقل إلى نوعين:
- ١- العقل المنشئ أو المكوّن.
- ٢- العقل المنشأ أو المتكون.
- **والأول** قوة فطرية تقوم بتكوين الثاني وهي ثابتة **والثاني** مكتسب يتكون بعد إعداد طويل ولا يخرج هذا عن تقسيم العلماء المسلمين السابق إلى : غريزي ومكتسب

المذهب العقلي

- **المذهب العقلي:** لهذا الإطلاق مقاصد شتى بحسب البيئة الثقافية التي يشيع فيها:
- ١- ففي اللاهوت المسيحي أطلق مقابلاً لمذهب القول بخوارق العادات والاتجاه هذا هو الذي سار عليه اسبينوزا وشتراوس وآخرون.
- ٢- أما عند المسلمين فإنه يطلق على الاتجاهات التي قدمت العقل على النقل مثل المعتزلة والفلاسفة والمدرسة العقلية في العصر الحاضر في مقابل من يسمون (النصيين) أو (النقليين)
- الذين يتمثلون في السلف وأهل السنة. والعقل لدى هؤلاء ليس العقل المجرد وإنما هو العقل المكتسب أو المتكون حسب تسمية (لالاند) وكان أعظم مكوناته لديهم النظريات العلمية والمكتشفات التجريبية التي جاءت بها الثقافة الغربية قديماً وحديثاً ؛ دليل ذلك أن النصيين المقابلين هؤلاء يعتبرون هذه المبادئ في مجال العقيدة ويقررون أن هذه الفطرة من الله وأن الوحي من الله فلا يمكن أن يتناقضا كما قرر ذلك ابن تيمية في كتابه (درء التعارض).
- ٣- أما في نظرية المعرفة في الفلسفة المعاصرة ؛ فإنه يطلق في مقابل المذهب التجريبي الحسي ؛ حيث يرد المعارف كلها إلى مبادئ العقل القبلية وعلى هذا فإن مصدرية العقل للمعرفة تعني:
- ١- القول بهذه المبادئ الأولية.
- ٢- وردّ المعرفة الإنسانية إلى هذه

الاوليات العقلية

- **الاوليات العقلية:** تقوم المعرفة البشرية على التصور والتصديق:
- **١- النصور:** هو الإدراك البسيط لمعاني الأشياء : كتصور معني الحرارة والنور ، والصوت .
- **التصديق:** هو الإدراك المنطوي على حكم: أي: هو الحكم بنسبة بين طرفين ، كالحكم بأن النار محرقة .
- ويتمثل المذهب العقلي لدى القائلين به برد المعرفة إلى أصولها الأولى سواء كانت تصورات كما يقول بذلك بعضهم أو

اولا: التصورات

- تصديقات كما يقول الآخرون.
- هذا وتكمن القيمة الموضوعية للتصور في كون العلم يقوم على مفرداته ، وأما التصديق فهو يملك خاصية الكشف عن الواقع الموضوعي للتصور خارج الإدراك .
- **أولاً: التصورات:** تنقسم التصورات إلى قسمين:
- **أولهما:** الإدراكات البسيطة المفردة – كالمعاني العامة: البياض ، والسواد ، والحرارة .

نظرية التذكر عند افلاطون

- **وثانيهما:** التصورات المركبة من التصورات المفردة – كتصور جبل من الذهب فهو مركب من تصورين: الجبل ، والذهب .
- ومن أبرز النظريات العقلية التي تناولت التصورات من حيث مصدرها: نظرية التذكر عند أفلاطون والنظرية الديكارتية وسنكتفي بالحديث عن الأولى:
- **نظرية التذكر عند أفلاطون:** هذه النظرية تقوم على أساس أن التصورات كامنة في النفس البشرية وأنها تنبعث منها تبعاً فمصدرها النفس ، وهذه النظرية قائمة على فلسفة أفلاطون في النفس وأصلها : أي من خلال نظريته في الوجود فيما يسمى بعالم المثل .
- حيث يرى أفلاطون أن النفس كانت مجردة مستقلة عن البدن متصلة بالحقائق المجردة في عالم المثل ثم هبطت إلى العالم المادي عالم الظلال وارتبطت بالمادة عن طريق اتصالها بالبدن فأثر عليها فنسيت ما عرفتة عندما كانت مجردة والنفس عنده تطل من خلال البدن عن طريق الحواس على عالم الأشياء فتتذكر تصوراتها السابقة لعالم المثل ، فالمعرفة – لديه – تذكر

- والجهل نسيان والإحساسات مجرد منبهات للنفس إلى ما هو مستقر فيها من معرفة لذلك العالم تعود إلى تعقلها مرة أخرى.

اسئلة الوحدة التاسعه

- ١- ما معنى العقل في اللغة ؟ .
- ٢- قارن بين معنى العقل عند علماء المسلمين وعند الفلاسفة المعاصرين .
- ٣- اشرح نظرية التذكر عند أفلاطون .

الرد على نظرية التذكر الأفلاطونية

- **الرد على نظرية التذكر الأفلاطونية:**
- **١- رد تلميذه أرسطو:** وأول من نقضها تلميذه أرسطو الذي يرى خلافاً لأستاذه أن المعرفة تبدأ من خلال الإحساس بشيء حاصر في الحال يُصَف بأنه جزئي، وتكرر هذا الإحساس يُولد التصورات الكلية فالجزئي وحده ذو الوجود الحقيقي وليس شبحاً للكلي - كما زعم أفلاطون - والكلي لا وجود له إلا في الذهن وإن كان هو موضوع العلم.
- **٢- رد العلماء المسلمين وفلاسفة العصر العباسي:**
- **ابن سينا:** الذي يرى أنه لا يوجد كلي عام في الوجود الخارجي، بل وجود الكلي - عاماً - إنها هو في العقل.
- **ابن تيمية:** حيث بيّن فساد التفريق بين الماهية ووجودها وأن اعتبار الماهية ذات ثبات في الخارج، غير وجودها الشخصي باطل، إذ (التحقيق أن الماهية شيء ثابت في الذهن لا في الخارج عن الذهن والمقدر في الأذهان قد يكون أوسع من الموجود في الأعيان وهو موجود وثابت في الذهن وليس هو في نفس الأمر لا موجوداً ولا ثابتاً فالتفريق بين الوجود والثبوت مع دعوى أن كليهما في الخارج غلط عظيم وكذلك التفريق بين الوجود والماهية مع دعوى أن كليهما في الخارج).
- **الرازي:** يقول في (نهاية العقول): (يُمْتَنَع أن يكون الإنسان الكلي موجوداً في الأعيان لأن الإنسان مشترك فيه بين أشخاص، فلو كان موجوداً في الخارج لكان الشيء الواحد موصوفاً بالصفات المتضادة).
- وعليه فهناك شيان، سواء سميا وجودين أو ماهيتين:
- أحدهما في الذهن
- والآخر في الخارج
- فوجود الشيء في الخارج هو عين ماهيته في الخارج وقد ذكر ابن تيمية اتفاق الأئمة والنظار على ذلك.

أسباب رد علماء المسلمين لهذه النظرية

- **أسباب رد علماء المسلمين لهذه النظرية:** فبالإضافة لمخالفتها للعقل؛ فهي مخالفة للعقيدة الإسلامية منهجاً وموضوعاً:
- **١-** فالمنهج الإسلامي يقضي بأن العوالم الغيبية علمها يتلقاه من الوحي وليس لأفلاطون دليل نقلي عليها.
- **٢-** أنها تتضمن ما يشوب التوحيد إذ اعتبر أفلاطون عالم المثل عالماً أزلياً خالداً لا يتغير. ولهذا حاول فلاسفة التوفيق تأويلها بما يتماشى مع الدين، فالفارابي يؤول كلام أفلاطون بأن مقصوده أنها موجودة في علم الله لا على أنها قائمة في مكان

آخر خارجة عن هذا العالم ، وهذا ما قال به الفيلسوف المسيحي (بيير أبيلارد) الذي قرر أن الكليات العامة الموجودة قبل وجود أعيانها هي أفكار الله الخالقة).

- ٣- ومن وجوه الخطأ فيها كذلك : أن مباحثها في المعرفة والمنطق تختلط لديهم بالوجود ومباحثه وهنا تكمن الخطورة ؛ فقد يقع في ذهن البشري تصورات ليس لها وجود حقيقي في عالم الوجود الواقعي ؛ فليس هنالك تلازم بين الوجود الذهني والوجود الموضوعي المستقل ، فإذا حُكم بأن جميع

ثانياً التصديق

التصورات الذهنية لها وجود خارج الذهن -حتماً- فإنه يعني بناء الوجود على أساس من الوهم حيث تحال التصورات إلى موجودات موضوعية.

- **ثانياً: التصديق:** رفض كثير من الفلاسفة الارتكاز على التصورات في بحث المعرفة ؛ لأن التصور:
 - ١- إما أن ينطوي على حكم فيكون تصديقاً ويستحق أن يكون فكراً.

- ٢- وإما أن يكون مجرداً من الحكم فلا يعدو أن يكون خاطراً مجرداً من جنس الوسواس لا من جنس العلم.
- وهذا هو ما اتجهت إليه المدرسة المنطقية النفسية بزعامة: فيكتور كوزان.
- وقيمة التصورات عند العقليين لا تتجاوز كونها لمادة التي يصوغ منها التصديق لبناته كما أفضى بذلك كانط ولهذا اعتبروا التصديق مصدر كل معرفة فبحثوا في أصله وأوليائه .

- والتصور لدى المناطقة القدماء يتجاوز المفردات البسيطة التي يطلقون عليه : التصور الناقص ، إلى ما يسمونه التصور التام كتصور الإنسان الذي يتركب من : الحيوانية والنطق ، لكن مخالفيهم يعتبرون هذا تصديقاً لا تصوراً.
- وطريق هذا التصور (التام) عند الأرسطيين وتابعيهم هو الحد فليست فطرية ، بل هم يقرون بالتصورات البسيطة ولا يعتبرون لها قيمة في المعرفة ويسمونها (اللامعرفات) وهنا يكون الخلاف بينهم في الاصطلاح.

أنواع التصديقات

- **أنواع التصديقات:** يرى الفلاسفة العقليون - بدءاً- أنه ليس كل تصديق أولياً ، بل إن غالب التصديقات ليست أولية إذ هي:
 - ١- **إما ضرورية :** وهي التي يسميها المناطقة: مصادر المعرفة اليقينية - عدا الأوليات- ومن أشهر أنواعها: الحسيات والمجربات ، كقولنا: الثلج بارد والخمر مسكر.
 - ٢- **وإما نظرية:** وهي التصديقات التي لا يمكن للنفس أن تؤمن بصحتها إلا إذا اعتمدت على تصديقات سابقة عليها

المبادئ الأولية

تتماز باليقين والوضوح وهي الأولية ، من خلال استلال عقلي.

- **المبادئ الأولية:** وهي التي فطر عليه الإنسان تتمثل في تلك الأحكام الكلية مثل:
 - الكل أعظم من الجزء.
 - الأشياء المساوية للشيء الواحد متساوية.
 - وقد حاول بعض الفلاسفة حصرها بشكل كلي فجعلوها أربعة تنبثق منها أو تقوم عليها المبادئ الأخرى وهي:

- **١- مبدأ الهوية:** الذي يقضي بأن ما هو هو وما ليس هو ليس هو أي: أي أن الشيء لا يكون غيره.
- **٢- مبدأ عدم التناقض:** الذي يقضي بأن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون ، وأن لا يكون معاً. وهو أهم المبادئ وجوهر الفكر المنطقي.
- **٣- مبدأ نفي الثالث (الوسط المستبعد):** الذي يقضي بأن كل شيء هو إما (أ) أو لا (أ) ولا وسط بينهما ، فالعدد زوج أو فرد ولا يمكن أن يكون إلا أحدهما. والمبدأ الثاني والثالث

- مرتبطان ؛ لأن مقتضى الثاني أن النقيضين لا يكونان معاً ، ومقتضى الثالث أنهما لا يرتفعان معاً
- **٤- مبدأ العلية:** ومقتضاه أنه لا يمكن أن يحدث شيء دون أن يكون هنالك سبب أو علة محدودة تصلح تفسيراً لحدوثه .
- فالعقليون يرون أن مبادئ العقل الأولية هي مصدر المعرفة البشرية التي تقوم عليها في كل مجالاتها : الطبيعة والميتافيزيقا وأنها تمثل جوهر العقل التي إذا فقدتها فقد قيمته .

- ومصدرية العقل للمعرفة – عند العقليين – تتمثل في صورتين:
- **الصورة الأولى:** هي التي تستغني بالعقل في تحصيل المعرفة عن أي شيء غيره من خلال تعقل عالم المثل عند أفلاطون كما أوضح ذلك في نظرية الكهف .
- كما أن هذه الصورة تتجلى في المعرفة التجريدية التي تبحث عن الحقيقة من خلال تركيب القضايا العقلية وهي التي تسمى في الفلسفة الغربية المعاصرة بالمعرفة الترانسندنتالية أي: المتعالية

على الحس والتجربة .

- وقد تمثلت بالمنطق الصوري قديماً ، ولدى ديكارت الذي بحث عن المعرفة اليقينية من خلال الفكر ، والذي توصل إلى اليقين فيما عرف عنده بالشك المنهجي أو الكوجيتو الديكارتي .
- **الصورة الثانية:** هي التي يجعل أصحابها للحس أثراً في المعرفة من حيث أنه يقدم المادة المتمثلة في المدركات الحسية التي تقوم عليها المعرفة من خلال العقل التي لها الفاعلية الكبرى في المعرفة . ومن هؤلاء : فيلهلم ليبنتز ، وجون لوك .

- والتجريبون حينما يتتقنون المذهب العقلي إنما ينظرون إليه من خلال الصورة الأولى ومن هنا يرى (لوك) أن على ديكرات أن يغمض عينيه ويسد أذنيه ، ويقفل جميع منافذ الحس لديه وهو يبحث عن المعرفة لكي يتسق مع مذهبه العقلي .
- ومنهج الإسلام في المعرفة يخالف المذهب العقلي المتعالي في المعرفة حيث أعطى الإسلام مقاماً أساسياً للإدراكات الحسية في عملية المعرفة نرى ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٨) النحل.

الفطرة في الإسلام وعلاقتها بالاولويات العقلية

■ الفطرة في الإسلام وعلاقتها بالاولويات العقلية :

- قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) الروم .
- وعن أبي هريرة ؓ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ

- تَحْسُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ ﴿ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ متفق عليه .

- وعلى ضوء هذين النصين بحث العلماء في معنى الفطرة وصلتها بالمبادئ القبلية .

■ الفطرة : فسرت الفطرة بتفسيرات كثيرة منها:

- ١- هي الإلهام للإيمان والكفر. وهذا عند الذين ينكرون فطرية معرفة الله

- ٢- وقيل هي المعرفة : أي معرفة الله والإقرار بربوبيته .

- ٣- وقيل إنها الدين الذي أرسل الله به رسوله ﷺ وهذا مذهب السلف الذين قالوا: الفطرة هي الإسلام .

■ أما علاقتها بالمبادئ القبلية:

- **فإذا أن يقال :** إن هذه الفطرة الدينية تمثل جزءاً من هذه المبادئ والأفكار الأولية .
- **أو أن هذه المبادئ** هي قاعدتها التي تقوم عليها بحكم أنها حق وما تؤدي إليه حق .

- فالمعرفة الدينية فطرية ضرورية على الخالين سواء قيل إنها فطرية بنفسها أو قيل إنها تحصل بأسباب كالأدلة التي تنتظم النفس .

- ولا يعني هذا أن المولى قد فطر الناس على الإسلام أن الإسلام يتمثل في عقولهم بالفعل خصوصاً أن لوثات والوثنية والجاهلية تغشيها حتى يخفت نورها ؛ ولكنها مع ذلك تبقى شعوراً عاماً في نفس الإنسان - البعيد عن هدى الله - حتى يأذن الله له بسبب مجلو هذه الوثنيات .

■ هذا والزرعة الفطرية الدينية أبعد مدى من الغريزة الدينية التي يتكلم عنها علماء الاجتماع ؛ لأن هذه الغريزة لا تتجاوز حسب قولهم الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة ولهذا كان سبيل إرواء هذه الغريزة هو اعتناق الديانات ، أما الفطرة فإنه لا يمكن الوفاء بحقها إلا بالدين الحق ؛ ولهذا اعتبر الإسلام اعتناق الأديان الأخرى ذات الأصل السعوي المبدل : اليهودية والنصرانية انحرافاً عن الفطرة (فأبواه يهودانه أو ينصرانه) وهذا ما يشهده الواقع فإن كثيراً ممن كانوا على

اليهودية والنصرانية واسلموا يتنوا أنهم لم يجدوا الهدى والطمأنينة إلا في الإسلام كما أبان ذلك الفنان الإنجليزي (كات ستيفنز) أو يوسف إسلام .

■ والدين الإسلامي يتحد فيه الدين الوضعي والدين العقلي معاً ، حسب تقسيم (كانت) الذي قسم الدين إلى قسمين :

■ ١- **وضعي** : وهو الموحى به الذي يقوم على عقيدة أبلغت لنا .

■ ٢- **عقلي** : وهو القائم على الصدق الكلي الذي تتفق فيه جميع العقول ؛ لأنهما جميعاً من الله وما كان منه لا يتناقض .

■ وعلى عكس ما رسم (كانت) من العلاقة بينهما حيث جعل الأصل هو الدين العقلي ومن ثم ينبغي أن لا يقبل من تعاليم الدين الوضعي إلا ما اتفق مع الأول ، أما منهج الإسلام ففيه الدين الوضعي الموحى به من الله هو الميزان الحق خلافاً لدين العقل فإنه غير مضمون الصدق وإن قام على أصل مضمون الصدق هو الفطرة أو المبادئ القبلية ولهذا أجمع علماء الإسلام على أن المعتبر هو الإسلام والإيمان الشرعيان دون الفطريين .

■ وسبب ذلك أن حركة العقل وهو يبني دينه على تلك المبادئ

أسئلة الوحدة العاشرة

- ١- تحدث عن رد العلماء المسلمين على نظرية التذكر الأفلاطونية : الرازي وابن تيمية .
- ٢- بين علاقة الفطرة بالأوليات العقلية .
- ٣- قسم الفيلسوف (كانت) الدين إلى قسمين . اذكرهما .

اسلوب العقل فى التوصل الى المعرفة

لا تسلم من العوارض والمؤثرات التي تنحرف بها عن الحق وهذا ما يشهد به واقع الفلسفة يقول ديكارت: (لا يكفي أن يكون لدينا عقل سليم بل ينبغي أن نستخدمه استخداماً سليماً).

■ **أسلوب العقل في التوصل إلى المعرفة:**

■ أشهر من تناول هذه المسألة:

■ **أبو العقلين ديكارت:** الذي يرى أن جميع أفعال العقل التي نستطيع أن نصل بها إلى معرفة الأشياء تعود إلى فعلين اثنين هما: الحدس والاستنباط.

■ **الحدس:** وهو نور فطري غريزي يمكن العقل من إدراك فكرة ما دفعة واحدة وليس على التعاقب فهو إدراك مباشر غير مسبوق بمقدمات تسلم إليه.

■ فالحدس عنده هو الفكرة المتينة التي تقوم في ذهن خالص منتبه وهو إدراك يقيني لا مرية فيه ويستشهد بالعلوم الرياضية وكيف يظهر الاشتغال بها أن هذا الحدس تصور يقيني للذهن يقظ صاف هو يتولد فقط من نور العقل الطبيعي.

- ويمثل ديكارت للحدس العقلي بإدراك الإنسان للمثلث بأنه محدود بثلاثة أضلاع وأن الكرة محدودة بسطح واحد فهذه الأمور ليست من المفاهيم العامة التي نستخلصها بالتفكير ومقارنة المعطيات الحسية.
- **الاستنباط:** وهو فعل ذهني نستخلص بواسطته من شيء لنا به معرفة يقينية نتائج تلزم عنه.
- والاستنباط الديكارتي مخالف للقياس الأرسطي لأنه ينتقده من جانبيين:

- ١- أنه قائم في الأغلب على قواعد يقينية ولكن منها ما ليس يقينياً.
- ٢- وهو وإن أوصل إلى نتائج يقينية إلا أنه لا يكشف لنا حقائق جديدة.
- والاستنباط الديكارتي الذي حاول أن يتجاوز به المنطق الأرسطي يتمثل في حدوس متتالية ؛ فلكي نعرف الأشياء المركبة ينبغي أن ننطلق من أصولها البسيطة التي ندركها بالحدس فنستنتج من ثم شيئاً مجهولاً من شيء معلوم ؛ وبما أن

الشيء يقيني بحكم إدراكي له بالحدس ، فالنتيجة اللازمة عنه يقينية كذلك.

- **أما (لينتز):** فيقسم المعرفة إلى ثلاثة أنماط :
 - ١ - **يقين حدسي:** موضوعه الحقائق الفطرية وبه نعرف وجودنا.
 - ٢ - **اليقين البرهاني:** يرجع إلى اليقين الحدسي ؛ وذلك باستنباط نتيجة قضية من حقيقة حدسية وبه نعرف الله.
 - ٣ - **اليقين الحسي:** يتناول الأشياء التي تأتي بها الحواس ومعيار صدق المعرفة الحسية هو الربط بين الظواهر عن طريق العقل
- وهذا يعني أن المعرفة الحسية تستمد يقينها من المعرفة العقلية ، وباليقين الحسي نعرف الأشياء الأخرى.
- **والتقسيم الثلاثي نجده عند اسبينوزا:** الذي جعل المعرفة على ثلاث درجات هي من الأدنى إلى الأعلى:
 - ١ - **تجريبية:** في المجال المادي.
 - ٢ - **العقلية.**
 - ٣ - **الحدسية:** التي موضوعها الوجود الأزلي.
- **وقد سبقوا إلى هذا المنهج ، فأرسطو:** الذي قيل فيه إنه زعيم المذهب الحسي ما كان يتجاوز بالحواس كونها الوسائل التي تنقل المادة الخام للمعرفة على العقل ثم تتسلسل المعرفة حتى تصل إلى ما يطلق عليه اسم المبادئ الأولى وهي عنده تعرف بالحدس أو الإدراك المباشر.
- **الفارابي وابن سينا:** وسار على هذا الخط فلاسفة العصر العباسي كالفارابي وابن سينا فالمعرفة عندهما درجتان:
 - ١ - **حسية:** تتمثل في جمع الجزئيات المحسوسة وتجريدها من المادة.

- **٢- ومعرفة عقلية:** حينما تتحول الصور الحسية المجردة من المادة كليات من خلال المبادئ التي يفيضها العقل الفعال على العقل بالقوة ليصبح عقلاً بالفعل.
- فمرد المعرفة الصحيحة لديهم إلى المبادئ الأولى التي تشرق من واهب الصور على العقول البشرية التي كانت عقولاً بالقوة فجعلها عقولاً بالفعل.
- وهذا اللون من العلاقة بين المعاني الحسية والمبادئ القبلية هو
- ما يسمى بنظرية الانتزاع التي قال بها هذان الفيلسوفان وغيرهما: كابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وغيرهم.
- **وخلاصتها:** أن الذهن ينتزع من المعاني التي ندركها بحواسنا ، والتي تشكل تصورات بسيطة التصورات الثانوية كالعلة والمعلول والجوهر والعرض ، ويتم هذا الانتزاع من خلال ما في العقل من مبادئ ضرورية كلية تظهر فاعليتها في مثل التصورات المحسوسة.
- هذا في المجال الحسي ، أما في مجال المعرفة التجريدية فقد
- سبقهم المتكلمون إلى منهجية البحث فيه :
- **فكافة المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة قالوا:** إن معرفة الله تحصل بالنظر وهو ما قال به بعد ذلك لبيّنتر.
- **وقال آخرون:** إن معرفة الله تتم بالفطرة التي أودعها الإنسان وهو ما قال به اسبينوزا.
- **وقال السلف:** إنها تحصل بالفطرة - غالباً ، ولكن قد يُوجد من يحتاج إلى المعرفة العقلية.
- وهكذا يتبين أن العقلين يقضون بأن العلم بالأشياء لا يتم إلا باستنباط العقل أحكامها من المبادئ القبلية.

- **نعقيب:** عرفنا أن المذهب العقلي حصر المعرفة في العقل ووردها إلى المبادئ الفطرية .
- ولا ريب أن لم يسلم للعقليين بذلك فقد رقص القول بهذه المبادئ التجريبيون .
- والرافضون للقول بها لم يستطيعوا إنكارها ولكن فسروها بتفسيرات أخرى . **فهيوم** فسر العلية بأنها مجرد عادة ذهنية تنشأ عند الناس كلما رأوا حادثتين مطردتي الوقوع ، كما رد **الاجتماعيون** هذه المبادئ إلى الحياة الاجتماعية التي كونتها مع مر السنين حتى أصبحت أشبه بالقوانين الراسخة .
- والحق ان تلك المبادئ لا يمكن إنكارها فالذين انكروها معتمدون عليها .
- وقد أثبت الوحي هذه المبادئ متمثلة بالفطرة وهي مستكنة في العقل الإنساني فإذا تفاعل الإنسان بعد ذلك مع الوجود المحيط به عن طريق الإدراكات الحسية برزت هذه المبادئ لتؤدي دورها في الارتفاع بهذه الإدراكات إلى مستوى المعرفة الإنسانية .
- أما الاجتماعيون فخلا فهم يعود إلى مصدرها فقد ردوها إلى المجتمع تمشياً مع نظرية التطور التي يؤمنون بها .
- **تنبيه إلى أمرين:**
- **الأول:** أن اعتبار المعرفة حركة فكرية لا تتجاوز العقل البشري إلى خارجه خطأ . وقد تبين في منهج المعرفة لدى ديكارت : أن المعرفة بطريقتها الحدسي والاستنباطي إدراك عقلي لقضايا فكرية مجردة كما مر بنا شرح هذين الطريقتين سابقاً .
- والذي أُلجأ إلى ذلك – والعقليين قبله – هو طلبه تحقيق معرفة يقينية ثابتة لا تتغير وبما أن الحسيات متغيرة فإن التعويل

- عليه يفقد هذه المعرفة ثباتها ومن ثم يقينيتها لديه.
- والحق أ المنهج التجريدي مخالف لمنهج الإسلام الذي يجعل للحس دوراً مكماً في عملية المعرفة .
- ثم إن المذهب التجريدي لم يحقق اليقينية المطلوبة في بحوثه الميتافيزيقية وتاريخ الفلسفة شاهد على ذلك .
- الموقف السليم ما قال به العقليون المعتدلون الذين لم ينكروا الحس والتجربة كما قال لايبنتز: (ضروري لإيقاظ الأفكار الفطرية في عقولنا).
- **ثانياً:** أن كون المعرفة البشرية لا تتم إلا بعد الإدراكات الحسية ، لا يعني أن تظل في إطارها لا تتجاوزها كما فعل ذلك (كانت) حينما قصر فعلها على الربط بين الظواهر الحسية فقط ، والحق أنها تنطلق إلى أبعد من ذلك متجاوزة الكون المادي إلى آفاق الوجود الغيبي فيما يتعلق بالله وصفاته معتمدة على الحدوس التجريبية في أصولها .
- كذلك انتقدت الخصائص التي وضعها العقليون للمعرفة من كونها : كلية ، وضرورية وشاملة ، وواضحة متميزة.
- أما **الوضوح والتميز** : فهو المعيار الذي وضعه ديكارت للمبادئ والحقائق المستنبطة منها ؛ وقد انتقد بأنه لم يجعل للوضوح علامة منطقية تحدده ؛ لهذا قال منتقدوه مثل : **جاسندي** : إن كل إنسان يظن أنه يدرك بوضوح وتميز ما يميل إليه ؛ لكنه قد يكون مخدوعاً فيما يدركه .
- ولعل المدرسة العقلية في العصر العباسي قد ارتكزت على هذا حينما لأقدم كثير من أتباعها على تأويل القرآن إلى ما يوافق عقله بحجة أن ما يراه عقله قطعي ومعلوم بالضرورة.

- أما **الخصائص الأخرى** فقد انتقدت من ناحية استقرائية ، ونفسية ، في أن من الصعب وجود اتفاق بين الناس على هذه الأحكام ، وأن الإنسان قد لا يجد في نفسه ضرورة ملزمة للتصديق بشيء يعتبره الآخرون من البديهيات .
- ودرجة حضور هذه المبادئ الذهنية نسبية تختلف من شخص لآخر ، فوجودها لا ريب فيه ولكنه راجع إلى الشخص من من ناحية الذكاء والغباء وما يعرض له من مؤثرات تمتد إلى فكره فتغطي تلك المبادئ فيخفت نورها .
- ويرى بعضهم أن الأولى تسمية هذه الخصائص (شروط الفكر السليم) قال : لأن الإنسان قد يفكر أحياناً متجاوزاً لها معتمداً مبادئ أخرى قد تكون مناقضة لبعضها رسختها في ذهنه حياته وبيئته السابقة .
- لكنها مع ذلك باقية وحينما ينجلي عنها الغشاء بممارسة الشك المنهجي أو التفكير بعيداً عن التقليد والمصالح الذاتية تعود إلى لمعانها وبريقها . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) ﴾ سبأ .
- أما زعم **العقليين انحصار مصدرية المعرفة** بالعقل وحده فهو زعم باطل وقد كان المراد به في أوروبا النهضة :
 - ١- رد سلطان العقل بعد أن أوهنته الكنيسة .
 - ٢- وبعد أن سخرت منه الاتجاهات الحسية .
- فجاء ديكارت رافضاً لسلطة الكنيسة وهو في الوقت نفسه أخرج حقائق الوحي عن مجال العقل لأنها في رأيه لا تدرك إلا بأمر خارق من السماء ، فهذا الموقف المتناقض منه يدل على إيمانه بمصدر آخر غير العقل .

- ولكن أتباع ديكارت رفضوا مبدأه فجعلوا العقل مصدراً للحقيقة كلها ، ومن ثم كان على العقل أن يثبت ما ادعاه له المتسمون به فيقدم الحقائق في كل المجالات وخاصة مجال الدين ولقد أخفق العقل وانتهى في هذا المجال إلى رفض الميتافيزيقا .
- لذا كان على الإنسان بحاجة إلى مصدر فوق العقل ، ولقد حاولت الفلسفة ذلك فعلاً واهتدت إلى الحدس البرجسوني ولكنه لم يكن أحسن حظاً من العقل ، ولن يجد الإنسان هذا المصدر إلا متمثلاً في الوحي الذي وهبه الله تعالى للإنسان .

المنهج الذي يسلكه العقل

- **المنهج الذي يسلكه العقل:** إن الخطأ والتناقض في أحكام الناس - كما يرى ديكارت - لا يعود للأوليات فهي مطلقة الصديق ، وإنما يعود إلى منهج العقل في البحث عن الحقيقة وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من الفلاسفة :
- فوضع **ديكارت** قواعد المنهج في كتابه: مقال في المنهج وكتابه قواعد لهداية العقل .
- كما وضع **أرسطو** المنطق الذي اشتهر به .
- والمنهج السليم المتكامل لا يمكن أن يوضع من قبل البشر وإنما يوضع من قبل الذي العقل وهو الله تعالى فإنه ينبغي الرجوع لتلقي المنهج الذي يسلكه العقل .

أسئلة الوحدة ١١

- ١- اذكر تعريف (ديكارت) للحدس والاستنباط .
- ٢- يقسم (ليبنتز) المعرفة إلى ثلاثة أنواعو.....و.....
- ٣- تحدث عن المنهج السليم المتكامل الذي يسلكه العقل في الوصول إلى المعرفة الحقة .

التجربة الحسية

- **الحس والتجربة:**
 - **الحس:** أحس تأتي في اللغة بمعنى: وجد ، أو علم ، أو ظن وعليه قوله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ (٥٢)) آل عمران ؛ فالإحساس بهذا وجود أو معرفة ، أو ظن .
 - **الحواس:** تطلق على المشاعر الخمس: السمع ، والبصر والشم والذوق ، واللمس .
-
- **المحسوس:** المدرك بإحدى الحواس وجمعه محسوسات .
 - **الحسي:** يطلق على المحسوس بإحدى تلك الحواس مقابلاً المعنوي وجمعه : حسيات .
 - **الحسيات:** عند المناطق تطلق على نوعين من القضايا:
 - **الأول:** ما يجزم بها العقل بمجرد تصور طرفيها بواسطة الحس وهي أحكام جزئية كالحكم بوجود الشمس وإنارتها .
 - **الثاني:** ما للحس مدخل فيها وإن لم يقتصر تركيب هذه القضية على الحس ، ويتناول التجريبيات والمتواترات وغيرها .
-

- ويرى الفلاسفة أن الحواس ليست محصورة بالخمسة ، وقال بعضهم إن الإنسان يشتمل على حواس باطنة في مقابل الظاهرة وهذه الباطنة مثل: حاسة الحركة ، وحاسة الألم ، وحاسة التوازن.
 - **الاتجاه الحسي :** هو الذي يقول أتباعه بأن جميع معارفنا ناشئة عن الإحساسات ، فالتصورات القائمة في العقل الإنساني مستقاة - كلها- من الطبيعة بواسطة الحواس وعليها تقوم المعرفة البشرية بعد ذلك.
 - **التجربة :** فهي في اللغة: تعني الاختبار ، ورجل مجرب أُختبر
-

- ومجرب عرف الامور وخبرها.
 - **التجربة في نظرية المعرفة :** تطلق على ملاحظة العالم ظواهر طبيعية في شروط معينة ، يهيئها بنفسه ليصل من ذلك إلى قضية أو قضايا ؛ هذه القضايا هي **المجربات** التي يعرفها أهل المنطق بأنها: القضايا التي يحتاج العقل في جزم الحكم بها إلى واسطة تكرار المشاهدة.
 - **الفرق بين الملاحظة والتجربة:** وقد فرقوا بينهما بأن الثانية تفتقر إلى تدخل العالم في مجال البحث ، بينما تقتصر الملاحظة
-

- على مشاهدة الظاهرة على ما هي عليه في الطبيعة.
- وقد فرّق القدماء بين نتيجتيهما ، فسموا القضايا الناتجة من التجربة : مجربات مثل : النار محرقة ، كما سموا القضايا الناتجة عن الملاحظة فقط : حدسيات مثل : الحكم بأن القمر يستمد نوره من الشمس بملاحظة ذهاب نور القمر في حالة وقوع الأرض بينه وبين الشمس .
 - **التجريبي:** هو المنسوب إلى التجربة منهجاً أو اتجاهاً.
 - **المنهج التجريبي:** هو الطريقة المشتعلة على الملاحظة
-

- والتصنيف ، والفرض ، والتجريب ، والتحقيق.
- **الاتجاه التجريبي:** هو القائم على أساس أن التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة البشرية ، من خلال المدركات الحسية ، ومن هنا فلا معرفة سابقة على المعرفة الناتجة عن التجربة ولا طريق لمعرفة سواها .
 - وفي هذا نرى الصلة بين الحسية ، والتجريبية من حيث أن الحسية في مجال التصورات ، والتجريبية في مجال التصديقات وبما أن المعرفة العلمية تكمن في التصديق فإن الحديث سينصب على الاتجاهات التجريبية .
-

- **فلسفة اتجاهات التجربة الحسية :**
 - تتمثل فلسفة اتجاهات التجربة الحسية من خلال العناصر الكبرى التالية:
 - ١- إنكار المبادئ الفطرية.
 - ٢- الاعتماد على الحس والتجربة.
 - ٣- الاستقراء والعلية.
 - ٤- الميتافيزيقا والأخلاق.
-

١- إنكار المبادئ الفطرية

- **١- إنكار المبادئ الفطرية:** هذه هي النقطة التي يعلن الفيلسوف بتبنيه لها انتسابه إلى الاتجاه التجريبي.
 - جون لوك ومهاجمة الاتجاه العقلي: بدأ (لوك) بمهاجمة الاتجاه العقلي ممثلاً بديكارت وإنكار أي أولية للمبادئ كما يرى العقليون وديكارت.
 - يتصور (لوك) أن العقليين يرون هذه المبادئ - التي يهاجمها - قضايا علمية ومعاني واضحة في العقل منذ مولد الإنسان، كما يتصور أنهم يُدخلون الأحكام الذاتية
-

والتقديرات الشخصية المنبثقة من تأمل الإنسان ضمن تلك
المبادئ لأن الجميع معرفة باطنة أي : أنهم لا يفرقون بين
الذاتي والموضوعي ؛ وبناء على هذا التصور : كان هجومه
على المذهب العقلي حيث يرى :
■ أنه لو صح أن الغريزة تقدم العلم للإنسان لما كان بحاجة
إلى الملاحظة والاختبار .
■ كذلك يرى أن المبادئ لو كانت حقاً موجودة للزم أن
توجد عند جميع الناس ، وليس كذلك لأننا نرى الأطفال
والبله

والأمين ليست واضحة لديهم أو غير موجودة.
■ ويرى أن قول العقليين إن هذه المبادئ تكون في النفس ولا
تظهر فاعليتها منذ الولادة وأنها تكون مطمورة لدى البله
تناقض ؛ لأنهم يقولون إنها موجودة في العقل وغير
موجودة (فكأنهم يقولون إن الإنسان جائع دائماً ولكنه لا
يحس بالجوع دائماً... وواضح من هذا أن (لوك) لا يريد أن
يعترف بالوجود بالقوة وباللاشعور مع أن الذاكرة دليل
ساطع عليهما).

- لكن على الرغم من هذا الهجوم فإن (لوك) اعتمد على فطرية المبادئ كما يرى دارسوه من خلال إثباته فاعلية العقل في تكوين المعرفة.
- مما جعل التجريبيين بعده يتخذون موقفاً حاسماً من هذه المبادئ
- بإنكار فطريتها كما فعل (هيوم) الذي أحالها إلى شبه وهم مع مبدأ العلية
- وإما أن يعترفوا بوجودها لكنهم يجعلونها صادرة من التجربة كما يقول ذلك الاجتماعيون والماركسيون .

٢- الاعتماد على الحس والتجربة

- **٢- الاعتماد على الحس والتجربة:** اعتبر التجريبيون العقل صفحة بيضاء ، وأن الحواس والتجربة هي وحدها التي تنقش المعرفة على هذه الصفحة ، فالحس والتجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة .
- ويتمثل تفسير التجريبيين الذي قالوا بالتجربة مصدراً للمعرفة في رأيين:
- **الأول:** الذي يرى أن المعرفة تتكون من الإحساسات والتجارب البسيطة وقد نحت فلسفة (كوندياك) [كوندياك "١٧١٥-١٧٨٠" فيلسوف فرنسي اعتنق مذهب لوك، فكان زعيم الحسية في وطنه. عرض هذه الحسية في كتابه "محاولة في أصل المعارف الإنسانية" ١٧٤٦" وأتبعه بأخر عنوانه "كتاب المناهج" ١٧٤٩" نقد فيه مذاهب ديكارت ومالبرانش وسبينوزا وليبنز وغيرهم من المعتمدين على العقل وحده]

هذا المنحى في تفسير المعرفة البشرية وشايعه عليه اخرون
من التجريبيين الوضعيين الذين حصروا وجود المعاني في
عبارات اللغة في تحققها في الواقع المحسوس ووسيلة
معرفة ذلك الملاحظة الحسية ، أما الاستنباط من
موجودات محسة على غيرها فإن هذه المستنبطات تظل
فروضاً وهمية أو محتملة حتى يتم التحقق منها إن أمكن.
■ والفيلسوف (آير) وهو أحد الوضعيين وفي مناقشته
لديكارت يرى أن الخداع ليس مصدره الحواس فإحساسنا
حق ولكن

وهنا ، أو ما تفترضه عقولنا هو الذي خدعنا فالخداع
مصدره العقل وليس الحس. وضرب لبيان ذلك مثال البرج
الذي يراه الإنسان مستديراً عن بعد ومربعاً عن قرب
فالخداع هنا ليس من طبيعة التجربة ولكنه راجع إلى أن
الإنسان يقيم على تجاربه استدلالات خاطئة.
■ والمعرفة على هذا تصورات انعكست في الذهن مما في
الخارج عن طريق الحواس.
■ **الثاني:** يرى أن المعرفة لا تتمثل في الإدراكات الحسية أو

التجارب البسيطة فقط كما زعم الأولون ولكنها تتكون من خطوتين:

- حسية: وهي التي قال بها أولئك.
 - وعقلية :
 - أو مرحلتين: التجربة والمفهوم.
 - والتصور الماركسي هو الذي يتبنى هذا الاتجاه ، يقول أحد الماركسيين: (إن المادية الديالكتيكية تعارض مرة واحدة الصفة وحيدة الطرف للمذهبين : العقلي الذي يرى أن النفس
-

أصلاً تحتوي على المبادئ والمفاهيم ، والتجريبي الذي يرى أن المعرفة كلها ناتجة عن الإحساسات وجمعها ؛ فليس ثمة فكر منطقي لا يؤسس على التجربة ، وبالمقابل : فإن المعرفة الحسية تحمل في ذاتها إمكانية التعميم التي ستتضح في المفهوم فاللحظة التجريبية واللحظة العقلانية تشكلان كلاً).

- ففي الدرجة الأولى: يمثل الإحساس الصلة المباشرة بين الوعي والعالم الخارجي وذلك بعكس الخصائص الموضوعية للأشياء المستقلة عنا.
-

- أما الدرجة الثانية: ففيها تظهر فاعلية العقل بالتجريد والتعميم ، والغور في عمق الأشياء التي لم تصل إليها الحواس .
 - وإذا كان لمبادئ العقل ومفاهيمه هذا المقام فهذا يعني أن المعرفة تجاوزت مجال الحس .
 - ولكن ألا يتناقض هذا مع الاتجاه التجريبي الماركسي الذي ينكر المبادئ الفطرية من جانب ، وتجاوز المحسوس من جانب آخر؟
-

- لقد لحظ الماركسيون أنهم بتجاوزهم المرحلة الحسية قد ساروا بأنفسهم نحو مأزق يهدم نظريتهم فتلافوا ذلك بأن بينوا أن العقل :
 - في الدرجة العقلية إنما ينطلق من مفاهيم تجريبية .
 - كما وضعوا للمعرفة شرطاً هو: أن تظل في دائرة التطبيق الواقعي في عالم الطبيعة وفي الممارسة العملية في الحياة الاجتماعية وبهذا القيد أرادوا أن لا تتجاوز المعرفة ميدان التجربة حتى لا ينتهوا إلى المذهب العقلي ومبادئه ومن ثم
-

الخوض في مباحث ما وراء الطبيعة.

- وبهذا يتضح أن هذه النزعة التجريبية متمثلة بالاتجاه الماركسي تتخذ في المعرفة بعداً أكبر من النزعة السابقة التي تمثلها وضعية (أير) ؛ لأنها بارتقائها إلى الدرجة العقلية تحقق معرفة تنبئية تعميمية من خلال الارتكاز على مبادئ عامة موثوقة الصديق.
- ولكنها حذراً من الخروج على اتجاهها الحسي الذي تعتنقه تؤكد أن هذه المبادئ أحدثتها التجربة البشرية ، وليست فطرية

-
- في العقل ، وأنها نالت هذه القيمة العلمية نتيجة كثرة التجارب التي مارسها البشر خلال ملايين السنين.
- كما تؤكد أن المعرفة ينبغي أن ترتبط بتطبيقها على المادة بما فيها حياة الإنسان وأن لا تعدو ذلك أبداً.
-

أسئلة الوحدة الثانية عشر

- ١- عرف المصطلحات الآتية : الحسيات . الاتجاه الحسي . التجربة .
 - ٢- تتمثل فلسفة اتجاهات التجربة الحسية من خلال أربعة عناصر كبرى . اذكرها .
 - ٣- يتمثل تفسير التجريبيين الذي قالوا بالتجربة مصدراً للمعرفة في رأيين هما و.....
-

الاستقراء والعلية

■ **الاستقراء والعلية:** الاستقراء: هو المنهج التجريبي الذي يتم فيه الانتقال من الجزئيات إلى الكليات ، ومن البحث في الظواهر إلى القوانين العامة كما إذا أخذنا مجموعة من قطع الحديد ووجدناها تتمدد بالحرارة فنخرج بحكم كلي وهو : أن الحديد يتمدد بالحرارة.

■ وقد واجهت التجريبيين مشكلة في بنية الاستقراء وهي كيف يجوز الانتقال من الجزئيات إلى حكم عام لا ينطبق عليها فقط بل ينسحب على غيرها أيضاً في المستقبل ؛ وهم

رفضوا القول بأي مبدأ قبلي غير مستمد من التجربة ، فمثلاً: القول بأن النار تحرق تثبت خبراتنا في الماضي والحاضر صحته ، لكن ما الذي يضمن لنا أن النار ستحرق في المستقبل؟

■ فقد واجه المذهب التجريبي هذه الثغرة التي استطاع المذهب العقلي معالجتها بأن أقام الاستقراء على مبدأ العلية

■ أما التجريبيون المنكرون للمبادئ القبلية ، فقد اختلفوا فيها إلى اتجاهات:

- **الاتجاه الأول:** ومن أكبر ممثليه الفيلسوف التجريبي : جون ستورات مل وهو يرى أن الاستقراء يفضي إلى نتائج يقينية وأنه مضطر إلى التعويل على مبدأ السببية (العلية).
- ولكن هذا الاتجاه يختلف عن المذهب العقلي في مصدر السببية فيردها إلى الحس والتجربة التزاماً بمذهبه ؛ فنحن نتعلم بالتجربة أن كل ظاهرة في الطبيعة هي مسبقة

فندعوا السابق المطرد : علة ، واللاحق معلولا ؛ ولما كان (مل) يعلم أن ليس كل تعاقب مطرد يعتبر قانوناً أضفى على هذا الاطراد صفة الضرورة دون مسمى العلة (السابق الضروري) ولم يبين سبب ضرورته.

- وتتجه النظرية الماركسية في المعرفة هذا الاتجاه.
- **الاتجاه الثاني:** يرى هذا الاتجاه أن الاستقراء يقوم على قضايا ضرورية الصدق ، ثابتة بشكل مستقل عن الاستقراء.
- و يرى في الوقت نفسه أن هذه القضايا غير ممكنة ؛ وبناء عليه

لا يكون للاستقراء أساس يعتمد عليه ؛ فلا يتجاوز دوره تنمية الاحتمال بالنتيجة المطلوبة نتيجة تكرار التقارن بين السابق واللاحق ، وهذا هو الاتجاه السائد لدى الوضعية المنطقية والفلسفة العلمية كما أشار إلى ذلك رايشنباخ في كتابه نشأة الفلسفة العلمية.

- **الاتجاه الثالث:** وهو الذي يجرد الاستقراء من أية قيمة موضوعية ويفسر العلية بالعادة ، ورائد هذا الاتجاه هو : ديفيد هيوم ، وجاءت بعده المدرسة السلوكية الحديثة في علم النفس فأيدت اتجاهه

- وخلاصة ما يذهب إليه : أن فكرة العلية وليدة انطباع ناتج من تجاوز ظاهرتين مرات عديدة ؛ ولكن بدون أن يكون فيها ضرورة ، فلا تعني أكثر من استعداد الذهن للانتقال من موضوع إلى فكرة ما يصاحبه عادة ، ولا شيء غير ذلك ولا خارجه وما ننسبه للموضوعات من سببية لا وجود له إلا في داخل أنفسنا ؛ ومن ثم لا داعي لافتراض وجود العلة بين الحادثتين في الخارج .
-

٤- الميتافيزيقيا والأخلاق

- **٤- الميتافيزيقيا والأخلاق:**
 - **١- الميتافيزيقيا:** تطبيقاً للمبدأ التجريبي القائم على اعتبار مصدر المعرفة محصوراً بالحس وبالتالي مجالها بالمحسوس فقد رفض التجريبيون في جملتهم الميتافيزيقيا .
 - **الوضعية:** اعتبر (كونت) التفكير الميتافيزيقي مرحلة من مراحل الفكر تجاوزها الإنسان إلى مرحلة الوضعية بعد أن تخط مرحلتي الدين والميتافيزيقيا .
 - **الوضعية المنطقية:** تبرز الوضعية المنطقية على أنها نفي
-

للميتافيزيقا التي هي عندهم: (كل ما يشير إلى رؤية مغايرة
للرؤية الوضعية التي لا ترى في العالم غير ما هو قائم برأسه
وحاضر بجسده في الحس المباشر). وعندهم أن الميتافيزيقا
جرثومة ضارة يجب القضاء عليها وهذا واجب كل وضعي .
■ وإذا كان رفض الميتافيزيقا يتفق فيه التجريبيون عموماً ، فإن
الوضعيين المناطقة يختلفون عن سابقهم في منهج النقد لها فقد
بنى السابقون لهم رفضها على أنها عديمة الجدوى أو أنها غير
علمية كما أشار إلى ذلك (كونت). أما الوضعيون المناطقة

فقد رفضوها بحجة أنها خالية من المعنى لأننا لا نقع
لقضاياها على تحقيق تجريبي ومن ثم: فهي مجرد لغو أي :
ألفاظ لا رصيد لها سوى تركيبها اللغوي لا أكثر.
■ **أما الماركسية:** فإنها تقيم نفيها للوجود الميتافيزيقي على الأساس
الذي أقامت عليه منهجها في المعرفة وهو: نظريتها في الوجود التي
تتصور فيها المادة هي الوجود الأزلي الأول وسواها موجود تال
منبثق منها وهذا الوجود التالي هو الفكر الذي انبثق من المادة
والذي شغل نفسه قديماً بتفسير طبيعة بدل تغييرها.

■ **الأخلاق :** أما الأخلاق فقد اختلف التجريبيون بشأنها بعد
اتفاقهم على رفض أي نوع من الأخلاق العالية أو أية محاولة
لإقامة عالم للقيم أعلى من عالم الخبرة والتجربة الحسية فليس
هنالك ضرورة عقلية فيما يتعلق بأصول الفضائل والردائل هذا
ما اتفقوا عليه لكنهم اختلفوا في تفسير القيم الخلقية الموجودة
بصفتها سلوكياً اجتماعياً ضرورياً للبقاء.
■ **هيوم:** فأما هيوم فإنه قرر أن حياة الناس العملية يكفي فيها
وحي الغريزة فمن وحي القلب والعاطفة تستمد الأخلاق التي
أساسها التعاطف والإنسانية التي تحملنا على محبة الخير للناس
جميعاً.

- **الوضعيون:** أما الوضعيون فقد ردوا الأخلاق إلى المجال التجريبي وسعوا لإقامتها على الملاحظة ودراسة سلوك الإنسان كما هو موجود بالفعل لا كما ينبغي أن يكون ومعالجة الأخلاق بالمنهج الذي تعالج به الظواهر الطبيعية المادية فعلم الأخلاق عندهم يستمد مبادئه النظرية من علمي النفس والاجتماع ، أو علم العادات بصفة عامة.
 - **الماركسية:** الأخلاق عند الماركسيين ليس فيها شيء مطلق وليست أولية عند الإنسان ولكنها صيغ عملية يتبادلها الناس
-

- نتيجة إملاء الأوضاع الاقتصادية في مرحلة من مراحل التاريخ ومن هنا فهي متغيرة بتغير الأوضاع الاقتصادية والمادية لأي مجتمع ولكل مرحلة من مراحل التاريخ كما أشار إلى ذلك إنجلز.
 - **المنطقية الوضعية:** أما منطقة الوضعية فقد سلطوا على الأخلاق سلاح التحليل اللغوي كشأنهم مع الميتافيزيقا ومن ثم قرروا أن البديهيات الأخلاقية ليست حقائق ضرورية لأنها ليست حقائق من أي نوع لأن الحقيقة كما
-

يرون صفة لقضايا أو أحكام والتعبيرات الأخلاقية ليست قضايا ولا أحكاماً ولكنها توجيهات والتوجيهات (الأوامر) لا يمكن إن توصف بصواب أو خطأ.

■ ومن هنا فلا يوجد قيمة معرفية للأخلاق تماماً كالميتافيزيقا وبهذا ينبغي أن يفسر - كما يرى هؤلاء - إخفاق المذاهب الخلقية ؛ لأن المعرفة لا يمكن أن تقدم علم الأخلاق وما وجد من أخلاق ، فإنما كان ترديداً لأخلاق جماعات اجتماعية معينة : كاليونان والكنيسة الكاثوليكية ونحوها.

■ لكن مع هذا كله فإن القضايا الأخلاقية تختلف عن القضايا الميتافيزيقية بأنها : ذات ارتباطات نفسية وإرادية وهذا هو الخيط الذي تعلق به بعض الوضعيين ؛ ليدروا النتيجة السيئة التي يؤدي إليها هدم القيم الخلقية في حياة الناس ، فامتطوا الإرادة وسيلة لقيام أخلاق عملية بين الناس ، فلكل شخص إرادة ، وهذه الإرادة تسعى لتحقيق الهدف الذي رسمه الشخص لنفسه ، وهي تنزع لاتخاذ قرارات تساعد على تحقيق هدفها ، هذه القرارات هي الأخلاق الشخصية للفرد

■ وبما أنها ستصطدم مع قرارات الآخرين ؛ لذا فإن الصراع بين إرادات الأشخاص سيؤدي إلى صيغ جديدة لهذه القرارات تتحقق فيها أهداف الأشخاص ومسألة الآخرين قدر المستطاع (وعلى ذلك فإن على من يريد دراسة الأخلاق أن لا يطرق باب الفيلسوف ، وإنما ينبغي عليه أن يذهب حيثما يدور صراع حول المشكلات الأخلاقية العملية ، عليه أن يعيش وسط جماعة تتدفق حيوية بفضل التنافس بين الإرادات).

أسئلة

- ١- عرف الاستقراء .
 - ٢- عند أصحاب المذهب العقلي يقوم الاستقراء على مبدأ
 - ٣- تحدث عن موقف الوضعية المنطقية من الأخلاق .
-

نماذج من المنهج التجريبي لدى بعض علماء المسلمين

- تنبه الأصوليون إلى أن منهجهم الإستقرائي هو منهج العلم ، وفي ذلك يقول القرّافي عند بحثه لمسلك الدوران في أصول الفقه: “الدوارانات عين التجربة ، وقد تكثر التجربة فنفيد القطع”. ومثل هذا نجده عند علماء آخرين مثل رضا الدين النيسابوري وابن تيمية.
- انتقل المنهج من (القانون) إلى (التطبيق) ومارسه علماء المسلمين ونكتفي هنا بذكر اثنين هما:
- ١- جابر بن حيان ٢- الحسن بن الهيثم.

جابر بن حيان ومنهجه التجريبي

- من المحتمل أن يكون جابر بن حيان توفي بعد عام ١٦٠ هـ ، وإن كان النقد الداخلي لكتاباتهِ يؤكد أنها كتبت في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع.
- وقد اهتم ابن حيان بالكيمياء وتميز بأبحاثه فيها ، والفكرة الرئيسية في مباحثه الكيميائية استحالة المعادن ، تحول ماهية معدن إلى ماهية معدن آخر ، أو بمعنى أدق تحول طبيعة من الطبائع إلى غيرها . فهل يتفق هذا مع فكرة

الماهية الأرسطية الثابتة كيفاً حقاً إن جابر بن حيان كتب كتاب (الحدود) وهو في مجموعه أرسطي ولكنه كتبه كتمرين عقلي فالطبائع عنده تتغير ، ولكي تتغير لابد أن تفقد ماهيتها الكيفية لكي تستحيل إلى ماهية أو طبيعة أخرى .

■ ثم إننا في الغالب لا نصل إلى معرفة الماهية ، معرفة كيف ، بل نصل فقط إلى وزن الطبائع ، أي معرفتها كما يقول جابر: ” الوصول إلى معرفة الطبائع ميزانها ، فمن

عرف ميزانها ، عرف كل ما فيها وكيف تركبت ” .
■ وأما كيف نعرف الكم فبال تجربة يقول: ” والدُّرْبَةُ تُخْرَجُ ذلك ، فمن كان دَرِباً كان عالماً حقاً ، ومن لم يكن دَرِباً لم يكن عالماً وحسبك بالدُّرْبَةِ في جميع الصنائع ” .
■ والدُّرْبَةُ في هذا النص تعني التجربة كما أنه كان يستخدم لفظ التجربة والامتحان للغرض نفسه .
■ كما أن جابر بن حيان لم يرفض شهادة الغير وفي ذلك

■ يقول في كتابه (الخواص) : ” إنه سيذكر ما توصل إليه بتجربته الشخصية فما صح أورده ، وما بطل رفضه وأن ما استخرجه سيقايسه على أقول غيره ” .

■ **منهج الاستدلال عند جابر بن حيان:**

■ كان أمام جابر بن حيان طريقان:

■ ١- طريق المنطق الأرسطي : القياس والبرهان .

■ ٢- وطريق المتكلمين : قياس الغائب على الشاهد

- وتمشياً مع منهجه التجريبي فقد أخذ بالثاني وأكد على أن تعلق الشيء بآخر إنما يكون من الشاهد بالغائب على ثلاثة أوجه:
 - أ- المجانسة.
 - ب- مجرى العادة.
 - ج- الآثار.
 - أ- **دلالة المجانسة :** الأنموذج: ويسمي جابر بن حيان دلالة المجانسة بالأنموذج ؛ لأنها تقوم على الاستدلال بأنموذج
-

جزئي على أنموذج جزئي آخر ، أو بنماذج جزئية للتوصل إلى حكم كلي وهو ما يقابل (الوقائع المختارة) في المنهج الإستقرائي المعاصر.

- يقول جابر بن حيان: "إن الرجل يُرى صاحبه بعضاً من الشيء ليدل به على أن الكل من ذلك الشيء - مشابهة لهذا البعض - " ، ويرى ابن حيان أن الدلالة من هذا الوجه ظنية وليست يقينية ، وهنا يخالف المتكلمين الذين أخذ عنهم هذه الدلالة ، فالتكلمون ذهبوا إلى ان نتائج هذا
-

القياس يقينية إذا طبق في الإلهيات .

- ويقول جابر مؤكداً هذه الاحتمالية : ” وذلك أن هذا الشيء الذي هو الأنموذج مثلاً لا يوجب وجود شيء آخر من جنسه ، حكمه في الجوهر والطبيعة حكمه ” .
- وجابر كان متوافقاً مع منهجه التجريبي في هذا الموقف ، وهو يرى أن المانوية استخدموا هذا القياس في نقاشهم مع المتكلمين وقالوا: إذا كان في العالم نور وظلمة وخير وشر فإنه يجب أن يكون خارج هذا العالم أيضاً ما ذكر

تكون كليات لهذه ، ويرى جابر أن هذا الاستدلال ليس بواجب أو حتمي حتى يثبتوا أن ما في العالم من هذه (أجزاء وأبعاد) أما قبل ذلك فليس يجب عنه ما أوجبته اضطراراً ؛ إنه من الممكن أن يكون في العالم من هذه كليات في نفسها لا أجزاء ، ولذلك لا تصح هذه الدلالة حتى يتبين بالضرورة أن ما في العالم من هذه أبعاد وأجزاء ، لا يقين إذاً في هذا الاستدلال حتى نصل إلى كم هذه الأبعاد يقول جابر: ” ألا ترى أن الأنموذج لا يثبت عنده بعلم يقين ، أي عنده من ذلك شيئاً غير ما أراه ” .

- وهنا يقرر جابر احتمالية التجربة ويبين أنه أوضح تجريبياً هذه الحقائق التي ذكرها بتطبيق موضح في كتبه (الطب ، والأربعة الأحجار ، والتجميع والميدان ، والميزان).
- ويرى وهو ههنا يتناقض مع نفسه أنه إذا جمعت تجاربه ودرست أسبابها “ على الولاء والدوام خرج العلم وانقده “ ، ولعله قصد أنه قد وصل إلى الدقة في قياس الكم ؛ بحيث يكون له وحده العلم الاضطراري الواجب .

- وفي اختصار إنه يرى أن صاحب الأنموذج لا ينبغي أن يدعي يقينية تجربته أو استدلاله حتى يكون لديه كما (كل ما كان من ذلك الجوهر) ، ويؤكد فكرة (الكم) حين يرفض ما يذهب إليه أصحاب الأنموذج من أن الجزء والكل متضايفان ، وابن حيان لا ينكر مفهوم التضاييف ، ولكنه يرى أنه لا بد من إثبات أن هذا الشيء جزئي أو بعضي ؛ لأنه من الممكن أن يكون هذا الشيء الذي ظنوه جزئياً واستدلوا به على وجود غيره من جنسه هو كل ما في الوجود من هذا الشيء .

- أما إذا اثبتوا أن هذا الشيء الموجود جزئي واستدلوا به على وجود جزئي آخر مثله ، أو كلي هذا الشيء الذي يكون الجزئي من جنسه كان الاستدلال صحيحاً يقينياً اضطرارياً .

- وأخيراً فابن حيان يأخذ بدلالة المجانسة في إثبات قياس الغائب على الشاهد ولكنه لا يوافق على يقينية هذا الطريق إلا إذا كان مستنداً إلى الكم ولم يتنبه ابن حيان إلى أن علماء أصول الفقه قرروا من قبل ، ظنية هذه الدلالة

■ **ب- دلالة مجرى العادة:** اكتشف متكلمو الإسلام

فكرة العادة ، والعادة عندهم كما عبر عنها التهانوي: “عبارة عما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطبائع السليمة”.

■ وقد أقام أصوليو الاسلام – متكلمين وفقهاء – قياسهم على فكرة العادة ، ومؤداها أنهم إذا شاهدوا حادثة تعقبها حادثة أخرى عادة حكموا بأنهم إذا شاهدوا هذه الحادثة مرة أخرى فإن الأخرى ستعقبها أو ستقترن بها ، ولكن بدون

تحقق علاقة ضرورية بين الإثنين وإنما هي عادة تقوم على المشاهدة والتجربة .

■ وذهب علماء أصول الفقه أن جري العادة هذا ليس يقينياً وتابعهم جابر بن حيان فأعلن احتمالية هذا المسلك يقول: “وأما التعلق المأخوذ من جري العادة فإنه ليس فيه علم يقيني واجب اضطراري برهاني أصلاً ، بل علم إقناعي يبلغ إلى أن يكون أخرى وأولى وأجدر لا غير ، ولهذا كثر استخدام الناس له وتقلبهم فيه إنه أخرى وأولى من

الطريقين الآخرين (القياس واستقراء النظائر ” .
■ وهنا يذكر ابن حيان (الاستقراء) ومصطلح (القياس)
ويقصد به القياس الأصولي لا المنطقي ، وهنا يرتفع عن
مفهوم القياس الأصولي الذي يستند إلى حادثتين بينهما
مسلك العادة إلى إستقراء النظائر أي الإستقراء بمعنى
الكلمة المستند على حوادث ووقائع جزئية ، وتنبه ابن حيان
إلى أن هذا الطريق الإستقرائي يقابل طريق البرهان في
احتمالية الأول و يقينية الآخر ، ونبه أيضاً

إلى أن قوته (الإستقراء) وضعفه بحسب كثرة النظائر
والأمثال المتشابهة وقلتها .

■ ويرى جابر بن حيان أن أضعف ما يوجد في هذا الطريق
الاستدلالي هو ما لا يوجد له إلا مثال واحد كقولنا : إن
امرأة ما ستلد غلاماً ، ودليلنا من حيث أنها ولدت في العام
الأول غلاماً ، ولم تكن تلك المرأة ولدت إلا ولداً واحداً
فقط ، أما أقوى ما يوجد من هذا الطريق فهو ما كان جميع
في الوجود مثاله ولم يوجد فيما قد كان ولا في

الشاهد مخالف له ، كقولنا إن ليلتنا هذه ستتكشف عن يوم يتبعها أو يعقبها ، ودليلنا أننا لم نجد من قبل ليلة إلا وانكشف عنها يوم.

■ ويؤكد جابر بن حيان أنه ليس في هذا الاستدلال علم يقيني اضطراري واجب ، بل هو علم ظني ، فالناس يستخدمونه لأنهم يعلقون ويستشهدون بالشاهد على الغائب لما في النفوس من الظنون والحسبان وما تجري الأمور عليه من النظام والمثابة والمماثلة عند التكرار .

■ يؤكد الدكتور زكي نجيب محمود على أن هنالك نقطتين تقرر بأن جابر بن حيان من رجال المنهج العلمي في العصور الحديثة :

■ **أولاهما:** إشارته إلى ميل النفس البشرية إلى توقع تكرار الحادثة التي حدثت فكأنها الاستدلال الإستقرائي مبني على استعداد فطري في طبيعة الإنسان وهو المبدأ ذاته الموجود لدى (جون ستيورات ميل).

■ **ثانيهما:** وهي كون درجة احتمال التوقع تزداد كلما زاد تكرار الحوادث وهي نظرية حديثة.

■ ويحاول جابر بن حيان أن يعطي أمثلة من استخدام هذا المنهج عند اليونان ويختار (جالينوس) مع علمه بأرسطيته ، ولكنه استخدم هذا المنهج أحياناً ويستدل بما قاله جالينوس : “ إن من المقدمات الأولية في العقل إنه إذا كان الصيف يتبعه الخريف لا محالة فإنه لم يكن إلا بعد خروج الربيع “ ، ويرى ابن حيان أن هذه المقدمة لا يمكن أن تكون صحيحة أولية في الذهن إلا إذا سبقها مقدمة أخرى تحقق صحتها وهي أن الأزمان لم تزل ولا تزال على مثل ما هي عليه .

■ ويرى جابر بن حيان أيضاً أن منهج الاستدلال بالآثار (آثار الغير) وهو منهج لقياس الغائب على الشاهد لا يصل إلى يقين ، إن جالينوس قد وقع في خطأ يخص الاستدلالين بمجرى العادة وبالآثار ، فجالينوس يرى أن عالم الأفلاك على مثال واحد مطرداً اطراداً تاماً لمشاهدتنا ولما وقع في ملاحظتنا (وهذا هو الاستدلال بمجرى العادة) ، ثم إن الآثار التي وصلتنا من آبائنا وأجدادنا - أي شهادة الغير - تثبت أنهم رصدوا عالم .

الأفلاك وتوصلوا إلى النتيجة نفسها ومن هنا جزم جالينوس بأن الأفلاك تسير على نظام واحد.

- واستخدمت الدهرية الاستدلال نفسه حتى أنهم أوجبوا من أجل أنهم لم يروا ولم يشاهدوا رجلاً إلا عن امرأة ... دفعوا أو اطرحوا جميع ما شهدته البراهين بخلاف ذلك”
- ولعل الذي قصده جابر بن حيان هنا بهذا هو أن العادة هي اطراد حادثة بعد أخرى فنحكم ظناً بوجود علاقة بينهما لا يقيناً ، وإن خرق العادة ممكن وقد شهدت

البراهين بإمكانه ووقوعه ؛ فقد وجد رجل من غير امرأة ، وهذا هو نفسه قوله : إن الدهرية اطرحوا ما شهدت به البراهين أي براهين المعجزات .

- وفي هذا يقول جابر بن حيان محذراً : ”إنه إنما كان يمكن أن لا يكون مولود على ما أدركناه وشهدناه لو كنا أدركنا جميع الموجودات ، وأحاط علمنا بها ولكن علمنا يقصر عن الإحاطة ومن الممكن أن تكون هنالك موجودات يخالف حكمها في أشياء حكم ما شهدنا وعلمنا ... نحن لم ندرك ابتداء العلم

ولم نر أول الخلق بل كثيرين من الناس لم يروا التمساح ، وهل من الحق أن نعارض وجوده لعدم رؤيتنا له أو لأنه لا يوجد من أخبرهم بوجوده من الناس” .

- ونستخلص مما سبق أن جابر بن حيان يرى أن مسلك مجرى العادة احتمالي لا يصل إلى اليقين وهو بهذا يكون قد سبق رجال المنهج العلمي في العصر الحديث الذين أوشكوا أن يكونوا على اجماع منذ ديفيد هيوم في هذا الامر.

■ **ج- الاستدلال بالأثار:** إن ما يقصده جابر بن حيان بالأثار : هو الدليل النقلي أو شهادة الغير ، أو السماع أو الرواية .

- أما شهادة الغير فهي شهادة ظنية ، وقد أنكر على جالينوس والذهرية من قبل في استنادهم إلى يقينية الأثار .
- ولكن هل يعمم جابر بن حيان شكه في يقينية الأثار للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نوضح فكرته في اليقين عامة . يرى جابر بن حيان أن هنالك :

- أوائل في العقل .
- وثواني في العقل .
- أما الأوائل فلا يشك في شئ منها ولا يطلب عليها برهان ولا دليل ، وأما الثواني فتستوفي من الأول بدلالته .

■ **الوصول إلى الأوائل:**

- ولكن كيف نتوصل إلى هذه الأوائل هل :
- بحدس مطلق معصوم .
- أم هل نرى الأشياء بالعيان رؤية مباشرة .

■ إن جابر بن حيان يذكر الحدس وأن الحدس يخرج المبادئ (الأوائل) ولكن ما الذي يضمن لنا صحة هذه الحدوس و يقينيتها ، ومن الصعوبة القول إن جابر بن حيان قد توصل إلى وجود هذه الحدوس لكل إنسان فالحدوس عند ابن حيان هو عيان والعيان يقيم البرهان - أي الدليل على صدقه - والعيان عيان الأنبياء وخلفائهم من أئمة أهل البيت هؤلاء هم أصحاب الأوائل ، فالآثار طريق لليقين إذا ما أتت عن طريق هؤلاء.

أسئلة

- ١- ماذا تعني (الدربة) عند جابر بن حيان ؟.
- ٢- تحدث عن مسلك الاستدلال بالآثار عند جابر بن حيان .
- ٣- ما معنى العادة عند المتكلمين ؟

٢-الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ):

- ولد أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم في البصرة سنة (٣٥٤هـ) ، وتوفي بمصر سنة (٤٣٠هـ) أكبر عالم رياضي وطبيعي في العصور الوسطى .
- **كتبه:** كتب ابن الهيثم كثيرة ولكن معظمها رسائل أو مقالات قصيرة في الفلسفة وعلم الكلام والرياضيات والبصريات والضوء وغير ذلك وأهم تلك كتابه المطبوع في (المناظر) .
- يؤكد مصطفى نظيف في كتابه عن ابن الهيثم أنه ينبغي أن يستبدل أسماء: روجر بيكون ومورليكوس وليوناردو دافنشي ودللابورتا وكبلر باسم الحسن بن الهيثم .
- كانت نظريات اليونان في علم الضوء منذ فيثاغورس حتى نهاية العصر (الهليني) متناثرة ولا تقوم على أساس علمي ، فلما ظهر العصر (الهلينيستي) عهد مدرسة الإسكندرية ظهرت أبحاث علمية قائمة على أساس منهجي عند إقليدس وبطليموس ، وقد كتب كلاهما

كتاباً في (المناظر) ولما وصل التراث اليوناني إلى العالم الإسلامي تناولته يد ابن الهيثم وسرعان ما أخذ علم الضوء وجهة جديدة وقد كان الفضل الأكبر في هذا إلى المنهج الذي استخدمه ابن الهيثم.

■ **منهج ابن الهيثم:**

■ استخدم ابن الهيثم المنهج الإستقرائي يقول ابن الهيثم:

■ ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات، وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط بالاستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس، ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب، مع انتقاد المقدمات والتحفظ في النتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحہ استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء، فلعلنا

ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثلج الصدر، ونصل بالتدرج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنحسم بها مواد الشبهات". وفي هذا النص نرى أن ابن الهيثم:

■ **١- جمع في القول بين الاستقراء والقياس وقدم الأول على الثاني.**

■ **٢- حدد الشرط الأساسي في البحث العلمي وهو طلب الحقيقة**

- ٣- بيّن أن الحقيقة العلمية غير ثابتة ولذلك يقرر بأنه يأمل أن يصل إليها.
- وبهذا يكون ابن الهيثم قد فاق فرنسيس بيكون أصالة وقدرة في فهم المنهج.
- وقد استخدم ابن الهيثم التجارب وقام بها وأسمى التجربة (بالاعتبار) ومن يقوم بها (بالمعتبر) واطلق على الإثبات بالتجربة الإثبات (بالاعتبار) مقابلاً للإثبات بالقياس البرهاني.

- وبالإضافة إلى الإستقراء فقد استخدم ابن الهيثم (التمثيل) وكذلك الاستنباط الرياضي.
- وأما مصدر ابن الهيثم في منهجه سواء أكان إستقراء أم تمثيلاً فهو منهج المتكلمين والأصوليين.

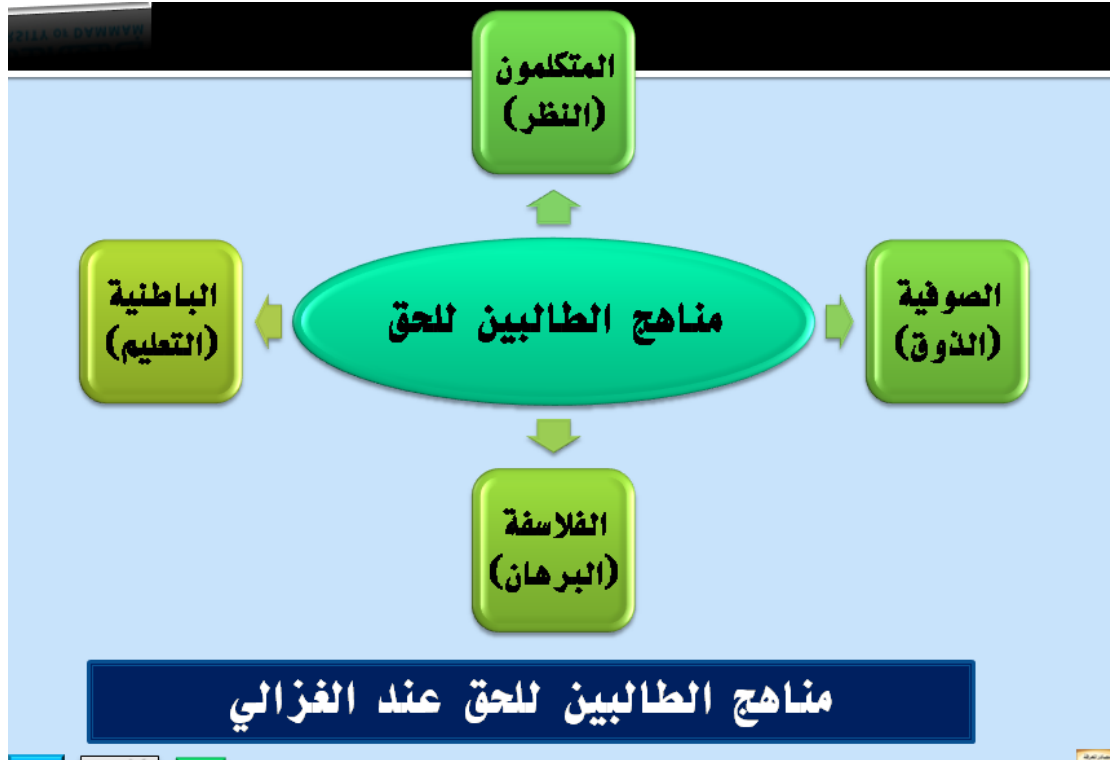
المنهج المنطقي والمنهج الذوقي

- **المنهج المنطقي:** هو الذي يقوم على النظر العقلي.
- **والمنهج الذوقي:** هو الذي يقوم على الذوق والتصفية.
- ويعود المنهج المنطقي إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو ، وعندما ترجم هذا المنطق إلى العربية في العصر العباسي وقف علماء المسلمين منه موقف الرفض وعدم القبول ، واستمر موقفهم إلى القرن الخامس الهجري وفي نهاية هذا القرن مزج الغزالي المنطق بعلوم المسلمين .

■ **المنهج الذوقي:** يختلف منهج الصوفية في المعرفة عن منهج المتكلمين والمناطق ، فقد قدم الصوفية منهجاً جديداً أسموه أولاً الاستنباط القرآني ، وهو أن يردد الصوفي القرآن حتى تنفتح له المعاني الإلهية ثم ينتقل إلى معاناة العبادة والخلوة والتردد بين المقامات الصوفية والأحوال حتى تنقدح المعرفة الإلهية فيه أو تلقى فيه ، فيتذوقها ، وإذا كان منهج المتكلمين والفلاسفة هو العقل فقد انتهى موقف الصوفية إلى الذوق والحدس ، وقد اختلف الصوفية مع الفلاسفة والمتكلمين في طبيعة المنهج

ورفضوا العقل وأسسـه.

- **مناهج الطالبين للحق عند الغزالي :** يوضح الغزالي مناهج الطالبين للحق وهم عنده أربع:
- ١- **المتكلمون:** أهل الرأي والنظر.
- ٢- **الباطنية:** أصحاب التعليم والاقتباس من الإمام.
- ٣- **الفلاسفة:** أهل المنطق والبرهان.
- ٤- **الصوفية:** أهل المشاهدة والمكاشفة.



■ وبعد أن انتقد الغزالي طرق المتكلمين والباطنية والفلاسفة ، وصل إلى أن الطريق الوحيد للحق هو ما لا يمكن التوصل إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات وهو طريق التصوف.

■ **تقسيم البحث في الإلهيات عند صاحب كتاب (أبجد العلوم):** فهو يرى أن هذا البحث (في الإلهيات) لا يخلو

■ ١- إما أن يكون على طريق النظر.

■ ٢- أو على طريق الذوق.

■ والأول:

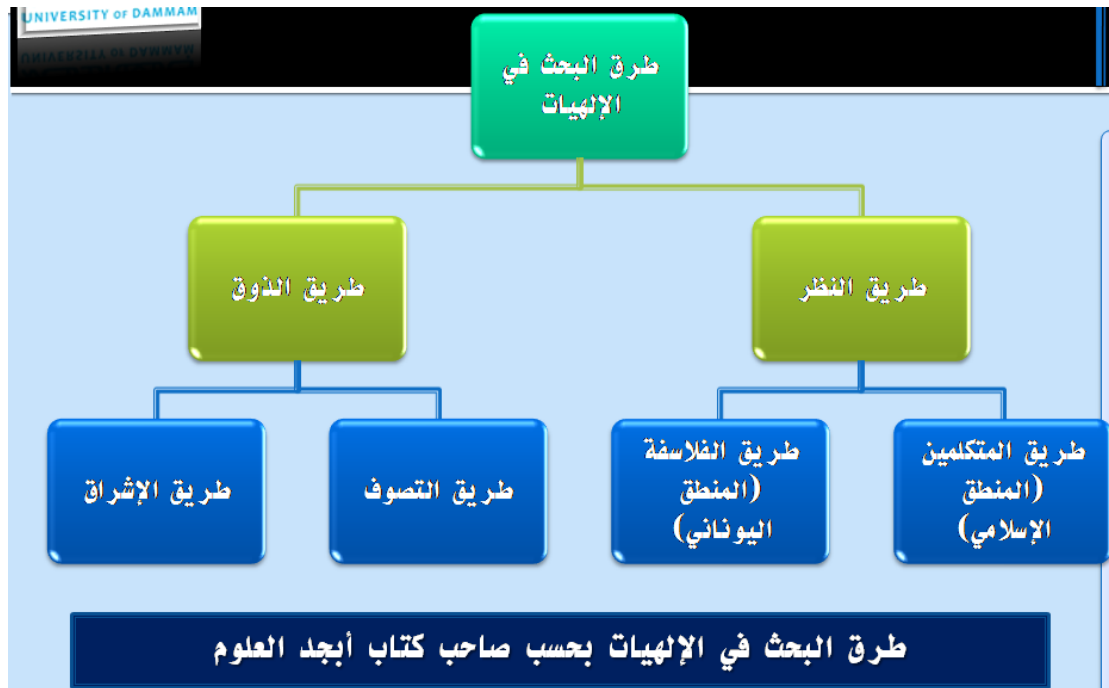
■ أ- إما على قانون الفلاسفة المشائين فالتكفل به كتب الحكمة.

■ ب- أو على قانون المتكلمين.

■ والثاني:

■ أ- إما على قانون الفلاسفة الإشرقيين فالتكفل به حكمة الإشراق.

■ ب- أو على قانون الصوفية والتكفل به كتب التصوف.



■ **طاش كبرى زادة والنسبة بين طريق النظر**

■ **وطريق التصفية:** يقرر أن هنالك طريقين:

■ **الأول:** طريق الاستدلال.

■ **الثاني:** طريق المشاهدة.

■ ثم إن كلاً من الطريقين قد ينتهي إلى الآخر فيكون صاحبه

مجمعاً للبحرين يجمع بين الاستدلال والمشاهدة ،

فالسالكون إلى الحق إذن مع كثرة الطرق وتعدد أنواعها:

■ **أحدهما:** ما يبتدئ من طريق العلم إلى العرفان ومن

الشهادة إلى الغيب .

■ **ثانيهما:** ما يبتدئ من الغيب ثم ينكشف له علم الشهادة

أي يبدأ بالذوق وينتهي إلى الحكمة العقلية.

■ ثم يقرر طاش كبرى زادة أن العلوم منحصرة في أن

للأشياء وجوداً في أربع مراتب في:

■ ١- الأعيان.

■ ٢- الأذهان.

■ ٣- العبارة.

■ ٤- الكتابة.

■ والعلوم المتعلقة في الأول هي التي لا تتبدل أي هي العلم

الإلهي .

■ وتسمى علوماً حَكْمِيَّة (فلسفية) إن جرى فيها البحث على

مقتضى العقل.

■ وعلوماً شرعية إن كان البحث فيها على مقتضى قانون

الإسلام أي هي الفلسفة وعلم الكلام.

- والعلوم المتعلقة في الثانية هي العلوم الآلية المعنوية كالمنطق ونحوه..
- والعلوم المتعلقة بالآخرين هي العلوم الآلية اللفظية أو الخطية.
- والثلاثة الأخيرة لا سبيل إلى تحصيلها إلا الكسب بالنظر.
- وأما النوع الأول أي العلم الإلهي فقد يتحصل بالنظر وقد يتحصل بالتصفية.

إنكار أهل النظر طريق الصوفية

- **إنكار أهل النظر طريق الصوفية:** وأنكر أهل النظر طريق الصوفية ؛ لأنه صعب الوصول ، ولأن محو العلائق إلى حد يؤدي إلى انكشاف المعارف متعذر ، وإن أفضى إلى القصد أي علم فهو غير ثابت ؛ ذلك لأنه تجربة ذاتية لا تقوم على قانون عام مسلم به ، ثم إن أدنى وسواس وخاطر قد يمحو ما حصل ويقطع ما وصل ؛ وبهذا يفسرون نتائج التصوف تفسيراً مرضياً بحثاً باثلوجياً وهو رأى يذهب إليه بعض المحدثين من علماء النفس.

- رد الصوفية على تلك الاعتراضات: ويردون على هذا بأن العلوم الحاصلة بالنظر مشوبة بأحكام الوهم وغير خالصة من عمل الخيال.
- وأما أن طريق التصوف صعب الوصول فلا يقدر في قوة اليقين وصحة العلم.
- أما التفسير المرضي للتصوف باعتباره اختلالاً في المزاج فإن المتصوفة قلما يحدث لهم هذا ؛ لأنهم كما أنهم أطباء النفوس والأرواح كذلك عارفون بأحوال البدن

والأشباح ، فالرياضة على ما شرطوه من الأحوال أمان من العناء والاختلال ، أما ما يحدث لبعض الصوفية من شذوذ واضطراب عقلي فإنه نشأ عن شذوذ واضطراب أصلي في النفوس قبل البدء في الطريق . فهذا الذي ذكرناه يعطينا صورة عن بعض النزاع الذي ثار بين المتكلمين وأهل الذوق ، وكان بجانب هذا نزاع آخر بين الصوفية والإشراقية وبين الفلاسفة المشائين .

■ النزاع بين الصوفية الإشراقية والفلاسفة

المشائين: بالإضافة إلى النزاع بين هذين الفريقين في تصور طريق المعرفة يوجد نزاع في مصدر كل من هذين الطريقين:

■ فمصدر الطريق الإشراقي هو كما يقول السهروردي : إمام الحكمة ورئيسنا أفلاطون ، وأفلاطون هو الفيلسوف الحق ؛ لأن حكمه البحثية على طريق الإشراقين التي قررها وأخبر عنها الصدر الأول من الحكماء الذين هم من جملة الأصفياء والأنبياء والأولياء كأغاثاديمون

■ وهرمس وأنباذقلس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأمثالهم ، إنهم في تجربتهم الصوفية يتشبهون بالمبادئ الأولى ويتخلقون بأخلاق الله.

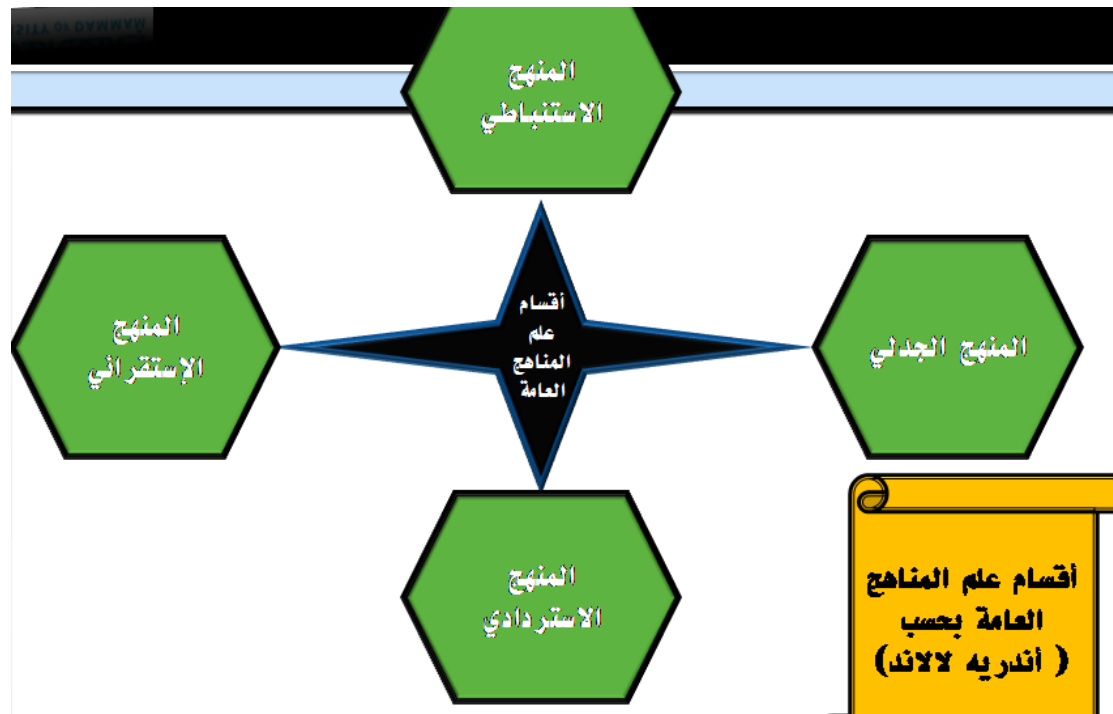
■ أما الحكمة التي عليها الأرسطوطاليسيون فهي حكمة متهافئة القواعد باطلة الأصول ، وقد أدى هذا إلى أنهم حرموا عن الوصول إلى معاينة المعاني ومشاهدة الموجودات مكافحة.

- والأرسطوطاليسيون عند الإشرافيين لم يصلوا إلى المعارف الحقة وإشراف المعارف ولم يعرفوا الحكمة المؤسسة على الإشراف والكشف حكمة المشاركة ، فحكمتهم كشفية ذوقية نسبت إلى الإشراف الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشرافات على الأنفس عند تجردها .
- ويهاجم السهروردي ابن سينا لمشائيته ولمهاجمته لأفلاطون ، ويرى أن الالتحام بأرسطو لا يؤدي إلى

- المعرفة الحقة ، غير أن الإشرافية اتخذت بالرغم من هذا مبدأ لها دراسة المنطق الأرسطوطاليسي بل جعلت دراسته رياضة روحية ، وقد أدى هذا إلى عملية إصلاح كبيرة في المنطق الأرسطوطاليسي .

أقسام علم المناهج العامة:

- قسم (أندريه لالاند) علم المناهج العامة إلى :
- ١- المنهج الاستنباطي (القياسي)
- ٢- المنهج الاستقرائي (التجريبي).
- ٣- المنهج التكويني (الاستردادي).
- ٤- المنهج الجدلي.



- **١- المنهج الاستنباطي:** فهو المنهج الذي عرفه المسلمون باسم المنهج القياسي ، وهاجموه ، وראوا أنه منهج عقيم لا يصل إلى علم نافع.
- **٢- المنهج الإستقرائي:** وهذا المنهج قد سبق المسلمون إليه الغرب بقرون طويلة وقد بينا هذا عندما تحدثنا عن جابر بن حيان وابن الهيثم.
- **٣- المنهج الاستردادي:** فالمسلمون قد أقاموا هذا المنهج على أسس علمية دقيقة فيما يُعرف بعلم مصطلح الحديث .

وطرق تحقيق الحديث رواية ودراية هي هي منهج البحث التاريخي الحديث كما عرفه (فلنج) و (سينيوبوس) و (لانجو) ، وقد توصل المسلمون إلى كل ما توصل إليه البحث التاريخي الحديث من نقد النصوص الداخلي والخارجي ، وطرق التحليل والتركيب ، وفحص الوثائق ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف ، نجد هذا واضحاً في كتابات التاج السبكي ، وابن خلدون ، والسخاوي .

■ **٤- المنهج الجدلي :** وهذا المنهج تُوجد أصوله في كتب آداب البحث والمناظرة والجدل منهجاً كاملاً يشبه المنهج الجدلي الحديث ، وما زال هذا المنهج ماثلاً في الكتب التي طال عليها الزمن ، وهذا المنهج وسابقه بحاجة إلى عناية وبحث من قبل الباحثين العرب والمسلمين .



أسئلة الوحدة الخامسة عشرة

- ١- ترجم لابن الهيثم واذكر أهم كتبه .
- ٢- ما اسم التجربة عند ابن الهيثم ؟ .
- ٣- عرف بالمناهج الآتية : الذوقي ، المنطقي ، الجدلي .